الأدب الرحلي القديم: التجنيس وتمايز الخطاب

أ.د فؤاد فياض شتيات *

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٢٠/١٠/٣١م. تاريخ قبول البحث: ٣/٥ /٢٠٢١م.

ملخص

يناقش البحث أدب الرحلة العربي القديم من ناحيتي: تجنيسه وطبيعة خطابه، ويرى أن المدونة الرحلية العربية القديمة تحمل نصوصا أدبية يتربص في خطابها مجموعة من الخصائص التي تسمح بتجنسيها في زمرة الأدب الجميل، ومنها المراوحة بين السرد والوصف وبروز ضمير المتكلم والتخييل والعجائبية. ويشير البحث إلى ضرورة الاهتمام بالنص الرحلي وخطابه والانطلاق منه، ولا ينفي القيمة العلمية للموضوعات التي حملتها نصوص المدونة وتقاطعها مع علم الجغرافيا والتاريخ والأنثروبولوجيا وعلوم أخرى، ويعدّها خارج إطار التناول الأدبي وينهج طريقة الاستقراء في الوصول إلى بغيته.

الكلمات الدالة: أدب رحلة، نثر قديم، خطاب، سرد.

* قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الإسراء.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

Literature of the Ancient Arab Journey: Naturalization and Differentiation of Discourse

Prof. Fou'ad Fayyad Shtayat

Abstract

The study discusses the literature of the ancient Arab journey in terms of: naturalization and the nature of his speech. The study believes that the ancient Arab nomadic blog carries literary texts lying in its speech a set of characteristics that allow to be included in the group of beautiful literature, including the narration, description, the emergence of the conscience of the speaker, the imagination and wonder. The research indicates the need to pay attention to the text of the journey and the departure from it. The study does not neglect the scientific value of the subjects that the texts of the code have carried out, and their intersection with the science of geography, history, anthropology and other sciences, rather, it considers it as being outside of the framework of literary treatment and takes the method of induction to reach its goal..

Keywords: Literature of journey, Ancient prose, Speech, Narrative.

مقدمة:

يحاول البحث تقديم قراءة لأدب الرحلة العربي القديم مبرزا أجناسية الأدب الرحلي وامتلاكه لمجموعة من العناصر الأدبية التي تشرعن لتناوله جنسا أدبيا متميزا، وتؤكد من خلال خطابه على أدبيته، لكنه لا ينفي أنّ بعض نصوص المدونة الرحلية العربية لا ينتمي إلى الخطاب الأدبي لانزياحها نحو العلمية ونقل المعرفة المباشرة والإغراق في اللغة التقريرية.

ويرى أنّ قراءة أدب الرحلة تسهم في تجلية خصائصه، وتسلط الضوء على بؤره المعتمة، وتدعم الجهود الساعية إلى تجنسيه في دائرة الأدب، وتزيل الغبار عن نصوصه، وتعيد قراءتها بشكل يبعد نصها عن الأدب الجغرافي والأنثربولوجي. فخطاب الرحلة جدير بذلك لما يحويه من تقاطع مع خطاب الرواية والسيرة الذاتية ولما يكتنز في داخله من تقنيات أدبية: سردية ووصفية وذاتية وتخييل ومرويات عجائبية، وتمايزه عن بقية الأجناس الأدبية في قيام نصه على محكي السفر وانطوائه على بنية فنية مشتركة تقوم على عناصر: المنطلق في الرحلة، والعبور، ونص الرحلة، والعودة.

ويسعى البحث للإجابة عن مجموعة من التساؤلات، منها: هل يمتلك النص الرحلي الخصائص الأدبية التي تؤهله ليعد جنسا أدبيا متميزا؟ وما العناصر الأدبية التي تجعله جنسا أدبيا متميزا عن غيره؟ وهل جميع المدونة الرحلية على ضخامتها تكتنز خصائص أدبية تسمح للقارئ أن يطلق عليها جنسا أدبيا؟

وينهج البحث طريق الاستقراء والتحليل، مستفيدا من مجموعة من المراجع والدراسات السابقة لأدب الرحلة ومنها: أبحاث ندوة الرواية والسفر، تقاطعات التسجيلي والتخييلي، والمنعقدة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمنسيك، في الدار البيضاء في المغرب، سنة ٢٠١٥م، وتتناول أبحاث تلك الندوة العلاقة بين أدب الرحلة والرواية، من زوايا متعددة، كما تتناول جنس الرحلة وتمايزه عن الرواية، والغيرية والذاتية، وتنزاح معظم أبحاث تلك الندوة نحو الرحلة الحديثة في المغرب العربي. أمـــا الدراسة الثانية فلروباش، جميلة، وعنوانها أدب الرحلة في المغرب العربي، وهي رسالة دكتوراه، الجزائـــر، ٢٠١٥م، وتتناول أدبية الرحلة وتقصر بحثها على الرحلة في المغرب، ثم دراسة الضمادي، سالم محمد سالم. أدبية النص الرحلي السعودي، رسالة دكتوراه، السعودية، ١٤٣٨-١٤٣٩هـ، وتتناول أدبية رحلات المبتعثين السعوديين بالتحليل.

ويقسم الباحث عمله إلى ثلاثة أجزاء، يتناول فيها إمكانية تجنيس المدونة الرحلية القديمة في دائرة السرد القديم، ثم مراحل تطور تلك المدونة وبعض خصائص خطابها الفني، ثم خصائص الخطاب الرحلي القديم.

والبحث يؤمن بأنّ ما يقدمه من جهد يبقي الباب مشرعا على مزيد من القراءات، ويدعو إلى مزيد من القراءة الأدبية للمدونة الرحلية العربية القديمة والحديثة وتأطير جنسها الأدبي.

أجناسية الأدب الرحلي القديم

لا ينبئ التعريف اللغوي للرحلة عن دلالة تسهم في وضع حدود معينة لأدب الرحلة مع ثراء المعجم اللغوي بمادة رحل، فـ "الرّحلة اسم للارتحال للمسير... والرُّحلة السفرة الواحدة "[١] ولم ترق التعريفات القديمة للرحلة إلى إبرازها مفهوما أدبيا، بل اعتبرت الرحلة أعم من السفر، واهتمت بالترحال وأدواته، وعدت الرحلة "مفردة تتحقق فعلا ماديا في الواقع وليست نصا لغويا متخيلا ينطلق من تجربة"[٢] أما معاجم الاصطلاح فتراها " أدبا شائقا، شديد الإثارة، رحب الأفق، قد عرفه العرب قديما... واتصفت رحلاتهم بأنّ بعضها جغرافي كرحلة ابن فضلان، وبعضها علمي كرحلة البيروني إلى الهند، وبعضها تاريخي كرحلة أسامة بن منقذ" [٣].

وقد تعددت تعريفات الرحلة كفعل ناتج عن السفر، فهي "حركة عبر المكان بقصد معين ينتج عنها اكتساب خبرات عملية وفكرية تنجم عن المخالطة"[٤] كما أنّها تحوي مجموعة من المعلومات ينتفع بها الباحث" وهي منابع غنية بمختلف مظاهر حياة المجتمعات البشرية بما فيها من صور وأخبار ومغامرات ومعارف وعلوم... وتمثل تجربة تعكس صورة الإنسان عبر العصور"[٥].

أما أدب الرحلة فكتابة أحداث رحلة في أماكن تنقل بها مسافر، وهو أدب " يقدم متعة ذهنية كبرى إذ تلتقي فيه بنماذج أدبية فنية رائعة"[٦] وهو "ذلك النثر الذي اتخذ من الرحلة موضوعا... أو الرحلة عندما تكتب في شكل أدبي نثري مميز، وفي لغة خاصة، ومن خلال تصور بناء فني له ملامحه وسماته المستقبلية، وهذا الشكل له جذور عريقة ولد وترعرع على أيدي ابن فضلان وابن

(١) ابن منظور. لسان العرب، مادة رحل.

(٢) حليفي، شعيب. الرحلة في الأدب العربي التجنيس آليات الكتابة، خطاب المتخيل، الهيئة العامة للقصور الثقافية، كتابات نقدية، شهرية١٢١، أبريل، ٢٠٠٢م، ص٤٦.

(٣) التونجي، محمد. المعجم المفصل في الأدب، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م، ص٤٧٦.

(٤) الموافي، ناصر عبد الرزاق، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٢٥.

(٥) الشوابكة، نوال عبد الرحمن، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر، عمان، ٢٠٠٨م، ص١٧.

(٦) روباش، جميلة، أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ٢٠١٥م، ص ١١.

جبير وابن بطوطة... يشمل آليتين مهمتين في البناء الروائي الأولى آلية القص، والثانية آلية الوصف"[١].

وهو كذلك "صياغة يعبّر الأديب من خلالها عمّا أحس به وهو يجوب الآفاق مكتشفا متعلما مزاوجا بين الشعر والنثر"[٢] وهو "خطاب تنشئه ذات مركزية هي ذات الرحالة، تحكي فيه أحداث سفر عاشته،... وغايتها من الحكي إفادة القارئ وإمتاعه"[٣] كما أنه "جنس أدبي سردي يعنى بدراسة خطاب الرحلة، ويعدّ السارد العمود الفقري له، ويؤدي وظائفه الفنية في توجيه الخطاب، وسرد المتن الحكائي المسرود وتقديمه له، معتمدا على سرد أفعال الرحلة ثم وصف أحوالها، ثم نقل الحوار محددا الزمان ومقيدا المكان، وراسما الشخصيات في جميع محطات الرحلة وموظفا تقنياته السردية، ومقدّما ذلك كلّه بلغة سردية محافظا على البنيات السردية الصغرى المكون مجموعها البنية السردية الكبرى للرحلة" [٤].

والنص الرحلي من منظور السرديات "صيغة لغوية لها سماتها الأسلوبية التي تميزها عن غيرها من الأشكال التعبيرية، وإن المضامين ما هي إلا نتيجة لهذه الصيغة وهذا الاختيار الأسلوبي، فهي حكاية يسردها راو محدد بصيغة وأسلوب محددين، وزمن معين وأشخاص وأحداث وفضاء كلّي وأمكنة متنوعة" [٥] ويرقى النص الرحلي إلى كونه" صياغة أدبية يعبّر الأديب من خلالها عما أحس به وهو يجوب الآفاق مكتشفا ومتعلما"[٦] وهو في الثقافة العربية القديمة " إطار ناظم لجملة من التنوعات الأسلوبية، والرؤى الذاتية، والمواقف الثقافية والأحكام القيمية، والاكتشافات الجديدة، ومغالبة الشعور بالاغتراب، والانقطاع عن منابت الطفولة، والغوص في مناطق نائية، ثم العودة المظفرة بذخيرة عجائب حقيقية"[٧],

(١) السلمي، صادق. التخييلي والرحلي في رواية أيام في مومبي، ندوة الرواية والسفر – تقاطعات التخييلي والتسجيلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء، ٢٠١٥م، ص٦٩-٧٠.

(٢) الشاهدي، الحسن. أدب الرحلة بالمغرب (العصر المريني)، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٩٠م، ج١، ص ٤١.

(٣) الحاتمي، محمد. الرحلات المغربية السوسية بين المعرفي والأدبي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠١٢م، ص٣٠.

(٤) الغزالي، عبدالله. المنجز السردي القديم، مكتبة آفاق، الكويت، ٢٠١١م، ص١٩-٢٠.

(٥) علي، عبدالعليم محمد إسماعيل. تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، ص٨.

(٦) التوازني، خالد. الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، ص٥١.

(٧) إبراهيم، عبدالله. موسوعة السرد العربي، ج٣، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٦م، ص٦.

ويرى بعضهم أنّ النص الرحلي "يكتفي بتدوين أثر الرحلة وليس الرحلة كما حدثت، أي أنّه يقتصر على تلك الانطباعات التي تظل مترسخة في وجدان الرحالة؛ مما يجرّد النص من صفة التلازم المنطقي والواقعي بين راهنية الحدث وزمن تقييده"[١] ويحوله إلى خطاب أدبي تخييلي خاصة وأنّ كتابة نص الرحلة يعتمد على التذكر، والتذكر يفتح النص على المحتمل واختراقات اللاشعور، وينفي التلاصق بين الواقعي العياني والخيالي المجسّد في عالم الكتابة، بما أنه عالم افتراضي للعالم الحقيقي[٢] مما يجعله نصا أدبيا بامتياز.

ويقال إنّ "محكي الرحلة جنس أدبي زئبقي مراوغ ومنفلت من التحديد نظرا لتموضعه في ملاقي أشكال أدبية جد متباينة تكسبه زخما وثراء تجعلانه – بامتياز – جنس الأجناس، وبؤرة الكتابة التعددية التناسخية"[٣] وهناك من يجعله صنفا تأليفيا يختص بتتبع الراحل في لحظات تنقله في أمكنة عبر أزمنة معينة، وقد يعترف بأنّ أدب الرحلة جنس أدبي لكنّه يلتقي بأدب الجغرافيا و" يقصد به غالبا ذلك المنتوج الفني الذي يروم التنظير لأدبيات السفر والمسير، ذلك الخطاب الذي يتبع نشاط الرحالة وهو يجوب البلاد ويقطع المسافات، إمّا عبرة واستبصارا أو حجا واعتمارا، وربما نزهة... أو طلبا للمعارف والعلوم، أو سعيا لاكتساب التجارة والعروض"[٤].

ويتمازج أدب الرحلات مع مجموعة من الكتابات الجغرافية والتاريخية والسيرة الذاتية، مما يتيح المجال لوصفه بإنّه أدب عصي على التجنيس، إذ ينفتح نص أدب الرحلات على مجموعة من الكتابات ويوصم أحيانا بأنّه ضبابي هجين[٥]، ولا يعود ذلك على الأدب نفسه حسب، بل يرجع إلى طبيعة القارئ وبغيته ومنهج القراءة ومرجعيتها الثقافية، فجزء من الدراسات التي تناولت الأدب الرحلي لم تنطلق من عدّ الرحلة جنسا أدبيا بل قرأت الرحلة من زاوية غرضها ومضمونها لا وجودها النصي[٦] وقد انصب اهتمام معظم من تناول أدب الرحلات على ما تقدمه من مادة باعتبارها وثائق

(١) الهرمودي، ميلود. تقاطع الواقعي والخيالي في الرحلة الجزائرية، ندوة الرواية والسفر – تقاطعات التخييلي والتسجيلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء، ٢٠١٥م، ص١٤٤.

(٢) الهرمودي، ميلود. تقاطع الواقعي والخيالي في الرحلة الجزائرية، ص١٤٥.

(٣) ذاكر، عبد النبي. يوم دراسي حول أدبية خطاب الرحلة، دراسات، جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، عدد ٨، ١٩٩٨م، ص ١٧٣.

(٤) التوازني، خالد. الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، دار السويدي للنشر، أبو ظبي، ٢٠١٧م، ص٥٠.

(٥) الدويهي، جبور. الرحلة وكتب الرحلات الأوروبية إلى الشرق حتى نهاية القرن الثامن عشر، مجلة الفكر العربي، عدد ٣٢، أبريل–مايو، ١٩٨٣م، ص٥٩.

(٦) الضمادي، سالم محمد سالم. أدبية النص الرحلي السعودي، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٤٣٨–١٤٣٩هـ، ص١٧.

معرفية عن العصور التي خرقتها تلك الرحلات، لكن ما يهمّ دارس أدبية الرحلة هو الجوانب الفنية والتقنية والجمالية وخطاب الرحلة لا وثائقيتها(١).

وتهتم الدراسة السردية " بموضوع الخطاب وليس الرحلة، فهي مادة، وبهذا التمييز يختلف عمل السردي عن عمل غيره من الباحثين الذين اهتموا بالرحلة باعتبارها مادة، ولم يلتفتوا إلى خطابها، فكانت حصيلة أعمالهم أن انشغلوا بعمل أي رحالة، ولم ينتبهوا إلى نوعية الخطاب الذي ينجزه"(٢). وتختلف وجهات النظر حول أدبية النثر الرحلي فتنعت بأنّها مؤلفات وصفية غير قائمة على الحبكة القصصية مع توفر عنصري الزمان والمكان، وتوصف كذلك بأنّها فن في الكتابة توفّر فيه العنصران الزمني والسببي في آن معا، وتتخذ شكل متوالية زمنية حين تتناول حكاياتها مقامرات الرحالة الشخصية(٣). وهناك مجموعة من الصعوبات التي تواجه تجنيس أدب الرحلة ومنها أنّه تجتمع فيه فنون كثيرة، وموضوعات عديدة وتتلاقى فيه أساليب وأجناس أدبية ومعارف وفنون وثقافات، حتى تغدو مادته تشكل أكثر المدارس تثقيفا للإنسان [٤] مما يربك المادة الأدبية فيها.

وعادة ما يسجل الرحالة كل ما يراه ويعايشه ويقرأه عن ملامح البلد الأجنبى الذي سافر إليه أو قرأه عنه من عادات سكانه، وتقاليده وخلفيته السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وأحداث عايشها الأديب ومواقف تأثر بها، وهموم عانى منها في ذلك البلد، طالت رحلته أم قصرت، ويشير إلى مشاعر اختلجت فى نفسه تجاه الأمور السابقة، وجغرافيا ذلك البلد.

وعلى الرغم من تشكيك بعضهم بأدبية الرحلة واستعصائها على التجنيس، غير أنّ مجموعة من الدراسات الرحلية الجديدة أطلقت تعريفات لأدب الرحلة انطلاقا من أنّ أدب الرحلة نوع من السرد يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور في أثناء رحلةٍ قام بها إلى إحدى البلدان، وقد يكتب أحداث رحلته مستذكراً، و يتحدث عن مشاهداته ومشاعره تجاه ما سمع وما رأى، وقد يسطّر ذلك شخص آخر.

ومع تعدد التعريفات التي تحاول تجنيس الأدب الرحلي وتخليصه من إرث الجغرافيا والواقع، والحقيقة أن جل التعريفات تكاد تجمع على أن المدونة الرحلية القديمة احتوت في ثناياها أدبا رفيعا

(١) يقطين، سعيد. السرد العربي مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٢٢٣.

(٢) يقطين، سعيد. السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص٢٠١.

(٣) مارس، بلقاسم. اللغة في السرد الرحلي الشكل والدلالة، ندوة الرواية والسفر – تقاطعات التخييلي والتسجيلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء، ٢٠١٥م، ص١٦٩.

(٤) فهيم، حسين. أدب الرحلات، ص ٢٥.

اعتمد على تصوير الواقع تصويرا يمتزج بالخيال ويجعل السرد والحكاية أساس ذلك الأدب، فالناظر في الخطاب الرحلي يلمس ذلك في كثير من زوايا المدونة، وسأضرب مثلا على ذلك من مدونة الرحلة الخاصة بأبي حامد الغرناطي، فقارئ هذه المدونة يتقرّى ذهنه تلك الحكايات التي يسردها المؤلف عن الأماكن التي زارها ليراها مغلفة بثوب من القصّ والخبر القصصي والحكايات العجيبة المشكلة بأسلوب يجمع بين بث الخبر وتشكيله وربطه بواقع متخيل يعكس رؤية السارد للمكان وعجائبيته، فيقول في حديثه عن البحيرة والجن المسجونين فيها " فأَمَرَ الغواصين فغاصوا في البحيرة فأخرجوا جبايا من النحاس عليها أغطية من الرصاص مختومة، قال: ففتح منها جبا، فخرج فارس من نار، على فرس من نار في يده رمح من النار، فطار في الهواء، وهو ينادي: يا بني آدم لا أعود..."[١] والمدونة مليئة بحكايات عجائبية تمتح من الخرافة والقص الشعبي وتستند أحيانا إلى أخبار مروية.

ويتميز أدب الرحلة بمجموعة من الميزات منها ميله إلى وصف الواقع كما يراه السارد، وأن راويه حقيقي يعبّر فيه عن تجربة ذاتية مؤطرة بمكان وزمان معروفين يمزج حكاياته بالخيال.فهي "فن للحكي عن رحلة السفر"[٢] أو"جنس أدبي يقوم على محكي السفر"[٣] و"السفر عنصر رئيس في الارتحال واكتساب المعارف وتحقيق مساحات التواصل مع الذات والغير، كما أنه يشكّل مدخلا للدهشة والكتابة والثقافة"[٤] و"السفر في النص الرحلي عنصر قائم ومتحول داخل الجنس، يتحقق بصفته قيمة تعلي من الحياة والحكاية، وحمّالا لآثار التاريخ والذات، ولآثار الواقع والحلم في آن واحد، ولحقائق ومزاعم أو تخيلات"[٥].

وتغلف المدونة الرحلية الواقع بالخيال فمع أنّه "مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل

(١) الغرناطي، أبو حامد عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي الأندلسي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق: إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٣م، ص٦٤.

(٢) حليفي، شعيب. على سبيل التقديم العبور إلى التخييل، ص١٠.

(٣) الضمادي، سالم. أدبية النص الرحلي السعودي، ص٢٢.

(٤) حليفي، شعيب. على سبيل التقديم العبور إلى التخييل، ندوة الرواية والسفر – تقاطعات التخييلي والتسجيلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء، ٢٠١٥م، ص٥.

(٥) حليفي، شعيب. على سبيل التقديم العبور إلى التخييل، ٧.

هذا في آن واحد"[١] غير أنّ خطابها ينزاح نحو الحكاية والسرد والوصف المعتمد على الذاكرة وما ازدحم فيها من حكايات مما يجعلها ذاكرة تصور المكان المتخيل. وأدب الرحلات يرسم صورة واضحة وطريفة عن الواقع، فهو يباشر الأشياء مباشرة قريبة، ويسوقها للقارئ بطريقة طريفة، فيصف الفضاء وصفا دقيقا، وينقل حالة الإنسان ومجتمعه، ويعبّر الرحالة السارد عن مشاعره تجاه ما يشاهده ويتفاعل معه تفاعلا وجدانيا، ويستخدم لغة سهلة وخيالا تفاعليا واقعيا، إنّه ينقل المحسوس ويصوره ويشرك القارئ في تلوين المشهد بما ينسجم مع الحالة الانفعالية لكليهما، وربما دفعت تلك الحالة النص الرحلي ليلعب "دور المنقذ من حالة الحرمان التي يعيشها (القارئ) في قوقعته"[٢].

وقد اتخذت الرحلات طابعا جمّ الحيوية والنشاط منذ القرون الأولى للخلافة... وهي التي ابتدعت تلك الشخصية الخالدة شخصية السندباد البحري الذي ترتبط أسفاره بالأدب الجغرافي ارتباطا أوثق مما كان يظن من قبل... فظهرت أشتات من المصنفات يتناول بعضها أوصاف الطريق بطريقة جافة، ويحفل البعض الآخر بالقصص الممتعة التي تسمو أحيانا إلى مرتبة الأدب الفني الصرف"[٣] ويشير من يقرأ سياق الرحلة من المهتمين بالجغرافيا والتاريخ أنّ أدبها أدب واقعي لكنّ حقيقة خطابها يخرج نحو الخيالية بل الخيال فيه طافح، والعقل مغيب خاصة الرحلات البحرية [٤].

وعلى سبيل المثال يروي الغرناطي خبرا عن بيض الرخ فيقول" فرأوا قبة عظيمة أعلى من مئة ذراع، لها لمعان وبريق فتعجبوا منها، وإذا هي بيضة الرخ فلما دنوا منها جعلوا يضربونها بالفؤوس والخشب والحجارة حتى انشقت كأنّه جبل، فتعلقوا بريش جناحه فجروه، فنفض جناحه فبقيت هذه الريشة عند علماني..."[٥] ثم يتحدث عن طبخ الجماعة للحم الرخ ويبين أثره فيمن أكل منه فيقول: "وكان فيهم مشائخ، فلما أصبحوا رأوا المشائخ قد اسودت لحاهم، ولم يشيبوا بعد ذلك اليوم من أكل ذلك الطعام" ثم يتحدث عن حمل طائر الرخ لصخرة ضخمة ورميها باتجاه القارب ونجاتهم منها، وهذه

(١) كليطو، عبد الفتاح. الحكاية والتأويل، دراسات في السرد العربي، دار توبقال، الـــدار البيضـــاء، ١٩٨٨م، ص٧٢-٧٣.

(٢) الهرمودي، ميلود. تقاطع الواقعي والخيالي في الرحلة الجزائرية، ص١٤٦

(٣) كراتشكوفسكي، أغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي،ج١، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧، ص٢٠.

(٤) الخامسة، علاوي. العجائبية في أدب الرحلات، رحلة ابن فضلان نموذجا، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٥م، ص١٥٢.

(٥) الغرناطي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، ص ١٣٢.

الحكايات تقع في صلب الأدب الرحلي البحري وتكون لبابه، وهي سرد يمتح من الخيال والمرويات الخرافية.

ويُدْرَجُ خطاب أدب الرحلة ضمن السرد الثقافي لانطوائه على مجموعة من التمثيلات التاريخية والجغرافية والدينية والاجتماعية وجميعها تضافرت لتشكيل هويته، ويتهم ذلك الأدب بأنّه نظر إلى الآخر من مرجعية دينية لاهوتية شكلت الآخر بطريقة تخضع للنظرية الدينية التي تقسم العالم إلى جزئين: دار الإسلام، ودار الكفر، وأنّ العالم خارج دار الإسلام غفل مبهم، وبعيد عن الحق وأنّ المرويات الرحلية أسهمت "في اختزال صور كثيرة من الأمم الأخرى إلى كتل صماء على خلفية النزاعات الدينية والصراعات السياسية، وتباين الأنساق الثقافية"(١)، وتُتَّهم حكايات الارتحال بأنّها مرويات ليست بريئة في التمثيل وليست شفافة، ويبدو أنّ الأمر لا يرجع إلى المرويات الرحلية ذاتها بقدر ما هو راجع إلى المنهج الذي تناول هذه المرويات، وإذا كانت الذاتية جزءا من خطابها غير أنها تحاول تصوير الواقع والاهتمام بالغريب من المرئيات إرضاء لخيال المتلقي. فالفضاء في أدب الرحلات "إضافة إلى كونه منطلقا لتناسل ممكنات أجناسية تولدت وتفرعت عنه زمانيا، فهو يعكس حجم التفاعل بين المجموعات البشرية المتنوعة المشارب والجنسيات والعقائد والبيئات السوسيو ثقافية وأثر هذا التفاعل على المستوى الحضاري"(٢) ويفيض أدب الرحلات كذلك بخياله الشعبي "فالخيال الشعبي فيه أوضح من أن نلتمس له الشواهد ونسوق النماذج"(٣).

ويلتقي الأدب الرحلي مع الرواية وما يجسّد الفرق بين خطابيهما أنّ خطاب الرواية يبني عالما متخيلا محتملا لا يطابق الواقع الخارجي، بينما الرحلة سرد لأحداث وأشخاص وأزمان وأماكن وفضاءات واقعية حقيقية، لكنها تمتح من الذاكرة والتذكر، فالعلاقة بين السرديات التخييلية والواقع في الرواية تنبني على قاعدة الاحتمال، وفي الرحلة تنبني العلاقة بين النص ومرجعه على قاعدة التطابق والتعيين(٤). والتخييل في خطاب الرحلة محل نظر وجدل باعتبار أنّ مرجعيتها الواقع، لكنّ التخييل أسلوب في صياغة الخطاب اللغوي واللغة أساسها التخييل، وبشكل عام لا ينجو منه جنس أدبي، والتمايز بينهما هو في درجة خفاء أو تجلّي ذلك التخييل.

(١) إبراهيم، عبدالله. موسوعة السرد العربي، ج٣، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٦م، ص٨

(٢) الحجري، إبراهيم. شعرية الفضاء في الرحلة الأندلسية (نموذج القلصادي)، دار النايا، دمشق، ٢٠١٢م، ص٥٦.

(٣)الأهواني، عبد العزيز. الخيال الشعبي في الأدب العربي، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة العدد ١٠٠، ٢٠١٥م، ص٤٢

(٤) ينظر، علي، عبدالعليم. تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، ص٣٠

كما أنّ محكي الرحلة يتقاطع مع الرواية لوجود ميزتين فيهما: قدرة النوعين الأدبيين على استيعاب أشكال متعددة من الكتابات الأخرى، واعتمادهما على تقنيتي السرد والوصف، وما يميز أدب الرحلة اعتماده بشكل أساسي على محكي السفر. فبنية السفر مهيمنة وطاغية على كل شيء.

وينظر إلى خطاب الرحلة ذي المرجعية الواقعية على أنّه سرد للمشاهد أثناء التسفار ينبئ بالحقيقة، والراوي فيه يسعى إلى تحرّي الصدق، ويقدّم الرحلة من خلال وعيه وثقافته وخبرته، لكن تحويل خطابه الرحلي إلى نص مكتوب يستند إلى التذكر والتخييل وإمتاع المتلقي بما شوهد في التسفار، أما مهمة قارئ الخطاب الرحلي فتتجه نحو تحليل صياغة خطاب الرحلة وليس واقعية الحدث، ولعل التخييل طريقة من طرق صياغة الحدث لا تتعارض مع كونه حقيقة مطلقة أو احتمال، ومن هنا " فصياغة خطاب الرحلة مسألة أسلوبية تخييلية، لأنّ عمادها التذكر وأداة بنائها اللغة، ووسيلة تسجيلها وجهة النظر"(١).

ولا يتعارض خطاب الرحلة الوصفي مع التخييل، لأنّها تضع في الاعتبار الأول البعد المكاني في زمن معين، ولعل الموازنة بين الرواية والرحلة يشبه إلى حد كبير الموازنة بين التاريخ والجغرافيا، فالتاريخ يعتمد على الزمن والجغرافيا تركن إلى المكان، والسرد والوصف هو المسافة الفاصلة بين التاريخ والجغرافيا، كما أنهما مسافة فاصلة بين الرواية والرحلة (٢).

وتسهم ثقافة كاتب خطاب الرحلة في صياغة الرحلة وأدبيتها، لذلك يختلف خطاب الرحلة من شخص لآخر فبعض الرحلات صيغت لتكون تقارير جغرافية أو وثيقة تاريخية لا تحتوي على التخييل مما يخرجها من دائرة جنس الأدب. وهناك خطاب رحلي يقوم على الوصف والحكاية والقصّ والعجائبية مما يجعله جزءا أصيلا في الأدب السردي.

ويتقاطع خطاب أدب الرحلة مع خطاب السيرة الذاتية وأدب المذكرات في كثير من خصائصهما ومن ذلك تطابق الراوي والمؤلف وواقعيته، وتختلف عنها في طريقة التبئير، ففي الرحلة يراعي السرد الموضوعية المرتبطة بمسائل خارجية تتمثل في هدف الرحلة(٣) كما أنّ السرد في خطاب الرحلة إطار، والتقرير يتضمن السرد، وينتهي التقرير بظهور فعل سردي جديد ينفتح على فضاء يقدمه التقرير، ومثال ذلك: خرجنا... وصلنا إلى... (سرد) رأيت...سمعت (تقرير) وقع لي...(سرد)، وذلك

(١) علي، عبدالعليم. تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، ص٣١.

(٢) ينظر يقطين، سعيد. السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص ١٩٦.

(٣) علي، عبدالعليم. تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، ص١٠.

لأنّ المتكلم في خطاب الرحلة هو مبئر وشخصية، وخطابها بهذا يختلف عن خطاب الرواية والسيرة الذاتية [١].

وتتناول السيرة كذلك مجمل حياة المؤلف الراوي بينما النص الرحلي لا يتناول إلا مدة محددة من حياة المؤلف وهي المدة التي قضاها في السفر، كما أنّ خطاب الرحلة حكاية لتجربة قصديّة لها أهداف مسبقة وتخطيط وحركة، بينما السيرة الذاتية والمذكرات لا ترتبط بقصدية مسبقة لما يتم تدوينه[٢]. وفي السيرة الذاتية كذلك ازدواج بين المبئر والشخصية فهما يتناوبان في الخطاب، وكلّ ما يحصل في خلال السرد أو التقرير لا يقدم معرفة موضوعية عن العالم والفضاء كما نجد في خطاب الرحلة؛ لأنّ هذا هو العنصر المبرّر فيه لكنّه يقدم مختلف المعارف بهدف إضاءة الذات المحورية في السيرة الذاتية [٣].

ومع ذلك فـ "وجود السيري في نسيج الرحلي يظل حاضرا بكافة وجوهه داخل البناء العام وبين ثنايا الدلالات في أي نوع من النصوص الرحلية، وتتفاوت تمظهراته وهيمنته باعتباره بنية منتشرة تتحقق على مستويات وبدرجات متباينة"[٤] وترتبط التراجم بالنص الرحلي... خصوصا في بعض الأنواع التي تستجيب لهذا الشكل، ففي أدب الرحلات الحجّية والزيارية تصبح بنية الترجمة حاضرة بقوة، بحيث يتحول الرحّالة إلى ترجمان للأعلام والفقهاء والمتصوفة والأولياء والأموات الذين زارهم أو الأحياء الذين سمع عنهم"[٥].

ولم تسلم الرحلات كذلك من اللجوء إلى التاريخ والاستشهاد بفقرات طويلة منه[٦]، فالبناء النصي من أخبار ومشاهدات الرحلة من أهم المصادر التي يمكن أن يستفيد منها المؤرخ والجغرافي والأديب والسياسي والإنثوغرافي"[٧] وهناك تفاعل بين الجغرافيا والنص الرحلي، وحضور الجغرافي في الرحلي يتجلى من خلال اهتمام الرحالة/ المؤلف بالوصف لما يرى ولمختلف الظواهر الطبيعية [٨].

(١) يقطين، سعيد. السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص٢٢٠.

(٢) عمشوش، مسعود. المقاربات السردية لأدب الرحلة في النقد العربي، www.alraipress.com.

(٣) يقطين، سعيد، السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص ٢٢٠.

(٤) حليفي، شعيب. الرحلة في الأدب العربي التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، الهيئة العامة للقصور الثقافية، كتابات نقدية، شهرية ١٢١، ص٥٣.

(٥) المرجع نفسه، ص٥٥.

(٦) المرجع نفسه، ص٥٦-٥٧.

(٧) المرجع نفسه، ص٥٧.

(٨) المرجع نفسه، ص٦٠.

مما تقدم يمكن القول بأنّ المدونة الرحلية تكتنز خطابا أدبيا متميزا يرقى إلى عدّه جنسا أدبيا له ميزات محددة وتقنيات خاصة يميزه عن بقية الأجناس الأدبية السردية كالسيرة الذاتية والمذكرات والرواية، وتميزه عن المرويات والأخبار التاريخية والكتابات الجغرافية والأنثوغرافية.

تطور أدب الرحلات عند العرب:

تسبر الرحلة أعماق التاريخ البشري فمن رحلة آدم إلى رحلة إبراهيم من بابل إلى فلسطين فمصر ثم مكة، ورحلة جلجامش سنة ٢٦٠٠ق م، ورحلة حانون القرطاجي سنة ٤٥٠ ق م، وغيرهما(١)، ومن هجرة الأزد إثر خراب سد مأرب إلى ترحال العرب المستمر بحثا عن الأمن الغذائي والنفسي والتجارة، هكذا تتابعت الرحلات عبر الزمن البشري و "يبدو تاريخ الإنسانية برمته، في شقيه المعلوم والمحتمل وغير المعلوم الخيالي، هو تاريخ أسفار تبحث عن أسئلة مطلقة لما هو نسبي في التفكير"(٢).

وبعض القبائل العربية ألفت الرحلة والترحال طلبا للكلأ والمرعى وعرفت مسالك الطرق وأوجدت مصطلحات ترتبط بالرحلة، وأوضحت الرحلة سجية فيها، وقد دفعتهم التجارة إلى الرحلة شمالا إلى اليمن وفارس وغيرها، ودوّن العربي بعض معاناته العابرة للمكان لغة جميلة تجسدت قصائد شعرية، وقطعا نثرية، كما اطلع على ثقافات أخرى وبنى علاقات إنسانية خارج إطاره القبلي، واكتسب الراحل مجموعة من الأخبار والمعارف نتيجة احتكاكه بغيره.

وقد حضرت الرحلة في المكون الثقافي لإنسان المنطقة العربية في أساطيره وشعره ونثره، ويبدو أنّها غريزة وجزء من تكوين الكائنات الحية، إذ يقال: والرحلة غريزة ومكوّن مهم من مكونات البشر والحيوانات (٣).

وازداد عراك العرب مع الحياة الجديدة التي يسّرها لهم الإسلام عبر حركة الفتح الإسلامي التي استمرت منذ القرون الأولى للخلافة الإسلامية وعبر زمن امتد عشرات القرون، واقتضت الحياة الجديدة الترحال من مكان إلى آخر لدوافع حياتية ووظيفية متعددة منها إدارة الدولة والبريد. واعتنى العرب في الحديث عن السفر ووصف المكان مبكرا إذ ينسب لابن عباس نماذج في وصف الجزيرة

(١) ينظر حليفي، شعيب. على سبيل التقديم العبور إلى التخييل، ص٦.

(٢) حليفي، شعيب. على سبيل التقديم العبور إلى التخييل، ص٦.

(٣) ينظر السيف، عمر بن عبدالعزيز. بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية الأسطورة والرمز، الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٩م، ص٥٥-٥٦.

العربية، كما ألّف عرّام بن الأصبغ الأسلمي بعد سنة ٢٣١هـ كتابا أسماه "أسماء جبال تهامة ومكانها" واستفاد السيرافي منه في كتابه(١).

وكان لاهتمام الخليفة المأمون أثر في تعزيز قيم الرحلة حين أمر مجموعة من الفلكيين برسم خريطة للعالم تسهل عملية السفر من مكان إلى آخر، فأول خريطة للعالم "أمر برسمها الخليفة المأمون فيما بين عامي(٨٣٣-٨١٣م)... وكان ضمن إنجازاته أنه أمر بإنشاء مرصدين إحداهما في دمشق والآخر في بغداد ليكونا أولى المراصد على مستوى العالم"(٢) ومع أنّ اليونانيين رسموا خريطة للعالم غير أنّ موقع المسلمين وانفتاحهم الجغرافي على آسيا وأفريقيا ساعدهم على تدارك الأخطاء التي وقع فيها اليونانيون عند رسم الخريطة، وتحديد خطوط الطول والعرض عليها، و "الذي أثر في هذه الوتيرة هو إقامة المسلمين في مكان أكثر تلاؤما من مكان إقامة اليونان أي في وسط وقلب العالم"(٣).

ويمكن تقسيم أدب الرحلات القديم حسب التطور الزمني إلى ثلاث مراحل:

أ- مرحلة الرحالة الأوائل الذين ظهروا في القرن الثالث الهجري، ويمكن تقسيمهم إلى نمطين النمط الأول ومنهم سلام الترجمان(٤) ويشار كذلك إلى سلمان التاجر الذي سافر في القرن الثالث الهجري إلى الهند والصين بنفسه ووصف ما شاهده وما علمه من أحوال التجار(٥) وكذلك ابن

(١) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج٥، ترجمة: النجار، دار المعارف، ط٥، ص٢٢٣.

(٢) يلماز، عرفان. مكتشف الكنز المفقود فؤاد سزكين وجولة وثائقية في اختراعات المسلمين، ترجمة: أحمد كمال، دار النيل، القاهرة، ٢٠١٥ ص٢١٣.

(٣) يلماز، عرفان. مكتشف الكنز المفقود فؤاد سزكين، ص٢١٦.

(٤) ينظر حسن، زكي محمد. الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م، ص١٥- ورحلة سلام الترجمان أشبه بأسطورة خيالية، ويزعم سلام أن الخليفة العباسي الواثق بالله (٢٣٢-٢٧٧هـ) رأى في المنام أن السد الذي بني حول ديار مأجوج ويأجوج قد فتحت به كوة، فانتدب سلاما وزوده بمجموعة من الصحب والطعام وكلّفه بالذهاب إليه والتأكد من ذلك، وانطلقت الرحلة من سر من رأى واستغرقت ثمانية وعشرين شهرا، ورحلته ترد في ثنايا كتب الأقدمين كنزهة المشتاق، ومعجم ياقوت، ويورد أبو حامد الأندلسي في العجائب حكاية عن سلام الترجمان أنه قال "وأقمت عند ملك الخرز أياما، ورأيت أنّهم اصطادوا سمكة عظيمة جدا وجلبوها بالحبال، فانفتح أذن السمكة وخرجت منها جارية بيضاء حمراء طويلة الشعر حسنة الصورة، فأخرجوها إلى البر وهي تضرب وجهها وتنتف شعرها وتصيح، وقد خلق الله في وسطها غشاء كالثوب الصفيق من سترتها إلى ركبتها، كأنه إزار مشدود على وسطها، فأمسكوها حتى ماتت" وينظر الحكاية في "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" لأبي حامد الغرناطي، ص١٣٩.

(٥) زيدان، جورجي. تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٣م ص٦١٣.

موسى المنجم وقد جاءت حكايات هذه الرحلات في ثنايا كتاب ابن خرداذبة[١]، ورحلة ابن وهب القرشي سنة ٢٥٧هـ على إثر ثورة الزنج في البصرة، ورحلة السيرافي وقد تحدث عن رحلة بحرية له عام ٢٣٧هـ ومنها "وربما رؤي في هذا البحر سحاب أبيض يظلل الراكب فيشرع منه لسان طويل، رقيق حتى يلتصق اللسان بماء البحر، فيغلي به ماء البحر مثل الزوبعة، فإذا أدركت الزوبعة المركب ابتلعته، ثم يرتفع ذلك السحاب فيمطر مطرا فيه قذى البحر... وكل بحر من هذه البحار تهيج فيه ريح تثيره... حتى يغلي كغليان القدور فيقذف ما فيه إلى الجزائر... ويقذف السمك الميت الكبار والعظام، وربما قذف الصخور والجبال كما يقذف القوس السهم"[٢].

وقد "قدم السيرافي وصفا صادقا للطرق التجارية، ولبعض العادات والنظم الاجتماعية والاقتصادية، ولأهم المنتجات في الهند وسرنديب وجاوة والصين... بالإضافة إلى الأخبار الوافية عن علاقة المسلمين بالصين في القرنين الثالث والرابع الهجريين"[٣] ويبدو أنّ "أكثر ما ذكره منقول عن تجار من العرب ارتادوا الشرق الأقصى حتى بلغوا الصين"[٤] وربما التقى بالمسعودي

ورحلة اليعقوبي التي تحدث عنها في كتاب البلدان وهي أقرب إلى الوصف الجغرافي، فقد وصف مدن العراق العامرة آنذاك كالبصرة وبغداد، ووصف مدن بلاد فارس ومدن أخرى ومما قاله "ومن الري إلى جرجان سبع مراحل، ومدينة جرجان على نهر الديلم، افتتح بلد جرجان سعيد بن عثمان في ولاية معاوية، ثم انغلقت وارتدّ أهلها عن الإسلام حتى افتتحها يزيد بن المهلب في ولاية سليمان بن عبدالملك بن مروان وخراج البلد ألف ألف درهم"[٥] أمّا النمط الثاني فيمثله رحلة ابن فضلان ٢٥٩هـ فهي متميزة عن سابقاتها في أسلوب كتابتها ومهمتها، إذ يمثل نص الرحلة أنماطا مرتفعة من الأساليب الأدبية، وأسلوبها أقرب إلى السرد القصصي، ومما قال فيها "ورأينا طائفة منهم تعبد الحيات، وطائفة تعبد السمك، وطائفة تعبد الكراكي، فعرّفوني أنّهم كانوا يحاربون قوما من أعدائهم فهزموهم، وأنّ الكراكي صاحت وراءهم ففزعوا وانهزموا، بعدما هزموا فعبدوا الكراكي لذلك"[٦].

(١) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد بن عبدالله. المسالك والممالك، ابن موسى المنجم، ليدن، ١٨٨٩م، ص ١٠٦-١٠٧ و رحلة سلام ص ١٦٨- ١٧٠

(٢) السيرافي، أبو زيد الحسن. رحلة السيرافي، تحقيق: عبدالله الحبشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩م، ص٢٢-٢٣

(٣) فهيم، حسين محمد. أدب الرحلات، ص ٢٠٢.

(٤) زيدان، جورجي. تاريخ آداب اللغة العربية، ص٦١٣.

(٥) اليعقوبي، أحمد بن يعقوب. البلدان، مطبعة ليدن، ١٨٩٠م، ص٥٤.

(٦) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص ١٠٩.

٢- المرحلة الثانية وتمتد عبر القرن الرابع الهجري، وفيها بدأ التاليف في أدب الرحلات يتخذ منحى علميا واضحا إذ وضع له مقدمة تبين منهج الكتاب ودوافعه، ومما كتبه ابن حوقل في مقدمة كتابه "وكان مما حضني على تصنيفه، وجذبني إلى رسمه أني لم أزل في حال الصبوة شغفا بقراءة كتب المسالك، متطلعا إلى كيفية البين بين الممالك في السير والحقائق... فبدأت سفري هذا من مدينة السلام يوم الخميس لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة"(١). وكذلك فعل المقدسي في تدوين رحلاته، فقد وضع لكتابه مقدمة أوضح فيه سبب كتابته في الرحلات، وأهم مصادره ومنهجه، ومما قال "فرأيت أن أقصد علما أغفلوه، وأنفرد بفن لم يذكروه إلا على الإخلال، وهو ذكر الأقاليم الإسلامية، وما فيها من المفاوز والبحار،... ووصف أمصارها المشهورة... وينتفع به كل مسافر ويحظى به كل تاجر، وما تم لي جمعه إلا بعد جولاتي في البلدان ودخولي أقاليم الإسلام، ولقائي العلماء وخدمتي الملوك..."(٢).

وتوصف كتابة كلّ من ابن حوقل والمقدسي بالنضج مع فرق بينهما في الأسلوب، فالصفة الغالبة على رحلة ابن حوقل المعالجة الجغرافية الوصفية(٣) والنزوع نحو النزعة العلمية، لكن لغته المسجوعة بين الحين والآخر استطاعت تصوير ما شاهده من الأماكن، وما سمعه من الرواة.

أمّا المقدسي فتوصف مخيلته بأنّها قادرة على التقاط ما تراه وتسجيله والتحقيق فيه، وتدقيق الروايات الشفهية حوله، لكنّ ذلك لا ينفي عنه رواية بعض الخرافات والأعاجيب، وهذا ديدن فن كتابة الرحلة في ذلك الوقت، ويوصف محتوى أدب المقدسي بأنه يكتنز بمحتوى إنثوجرافي يعالج الجوانب المادية والمعنوي للحضارات وثقافاتها، فقد مزج المقدسي "بين الحس الإنثوجرافي والنزعة الأدبية في عرض المعلومات بطريقة سلسة وشيقة...(مع) جمال الوصف وحسن التعبير"(٤) ويبدو أنه استفاد من مشاهداته الرحلية فقد جال معظم أرجاء العالم الإسلامي لكنه لم يزر الهند وسجستان ولا الأندلس، وانتفع في رحلاته بكل المصادر الأدبية التي أتيحت له(٥). يقول المقدسي عن رحلته "وقد أودعناه شيئا من الغوامض والمعاني ليجلّ ويقلّ، وأوردنا فيه الحجج توثقا والحكايات تحققا، والسجع تظرفا

(١) ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي. صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٩٢م، ص١٠.

(٢) المقدسي. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ١٩٩١م، ص ١-٢ .

(٣) مال الله، علي محسن عيسى. أدب الرحلات عند العرب في المشرق أساليبه وصوره الفنية من القرن الثالث حتى نهاية القرن الثامن الهجري، ص١٠٥.

(٤) فهيم، حسين محمد. أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد ١٣٨، ١٩٨٧م، ص٤٦.

(٥) بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ج٥، ص ٢٥٣.

والأخبار تبرّكا"[١]، وكان في وصفه للبلاد المختلفة يحب الإشارة على سبيل المقارنة إلى وطنه فلسطين، ولا يخلو أسلوبه من بعض التصنع، وذلك التصنع الذي أخذ ينتشر في الفترة التالية من دواوين الكتاب إلى الأدب، وقد دوّن كتابه سنة ٣٧٥هـ، واهتم في رحلته الأولى بالحديث عن الدولة السامانية كما فعل الإصطخري، واهتم في رحلته الثانية بالحديث عن الدولة الفاطمية كما فعل ابن حوقل[٢].

ومن رحلات هذا القرن رحلة أبي دلف[٣] التي تميزت بكثرة المدن التي ذكرها والمناطق التي ساقها، وأحسن في وصف الأمكنة، ومن ذلك وصف مدينة كله في الهند "فلّما وصلت إليها، رأيتها عظيمة منيعة، عالية الأسوار كثيرة البساتين، غزيرة المياه، ووجدت بها معدنا للرصاص القلعى، لا يكون إلا في قلعتها من سائر الدنيا، وفي هذه المدينة تضرب السيوف المعروفة بالقلعية، وهي الهندية العتيقة... وبينها وبين مدينة الصين ثلاثمائة فرسخ، وحولها مدن ورساتيق وقرى، ولهم أحكام وحبوس وجنايات، وأكلهم البرّ والتمور"[٤]، وتوصف نصوص أبي دلف بأنّها ذات صبغة أدبية لكن اهتمامه بذكر الأماكن وتعداد البلدان أضاع علية التعمق في ذلك الأسلوب مع أنه شاعر، مما جعل كتابته أقرب إلى الإحصاء.

ومن الرحالة الذين مالوا في أسلوبهم إلى ذكر العجائب الرّبان برزك بن شهريار الرامهرُمُزِّى وقد كانت رحلته عقب ٣٤٢هـ وكتب "عجائب الهند" وقد جمع الحكايات التي أوردها في كتابه من أفواه

(١) المقدسي. أحسن التقاسيم، ص٨

(٢) ينظر بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ج٥، ص٢٥٣، وزيدان، جورجي. تاريخ آداب العربية، ص٧٦٣ ويرى أنّ المقدسي توفي ٣٧٥هـ، وكتابته الرحلية ناتجة عن معاينته للأمكنة.

(٣) ينظر أبو دلف، مسعر الخزرجي. الرسالتان الأولى والثانية للرحالة أبي دلف الخزرجي في القرن الرابع الهجري، عرض وتحليل، عرض: عليان عبد الفتاح الجالودي، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد ٩، العدد ٢، ٢٠١٥م، ص ٢-١٠ ، عاش في القرن الرابع الهجري، وهو مسعر بن المهلهل الخزرجي الينبوعي، ينسب للخزرج وتعود أصوله إلى ينبع على ساحل البحر الأحمر، ولم تؤكد المصادر سنة وفاته أو مولده لكنّها تشير إلى أنّه من المعمرين الذين جابوا البلاد ونافوا عن التسعين، عاش معظم حياته في بخارى، وسافر إلى الصين بأمر من الملك السعيد الساماني، وزار خلال رحلته تركستان الغربية والشرقية والتبت ودخل الصين والهند، والتقى بأبي عبدالله الجيهاني (ت ٣٣٠هـ) وزار سجستان، والري، وتردد على البويهيين، وقرض أبو دلف بعض الأشعار، ومنها قصيدة في بني ساسان التي يصف فيها نمط عيشهم والمكدين منهم وفنونهم.

(٤) أبو دلف، مسعر بن المهلهل الخزرجي. الرسالة الأولى، تحقيق: مريزن سعيد مريزن عسيري، جامعة أم القرى، مكة، ١٩٩٥م، ص ٥٩، وينظر بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج٥، ص٢٤٥ ويشير إلى أن رحلته أوردها ابن النديم ومنها عند القزويني.

رجال البحر بين سنتي (٢٨٨– ٣٤٢هـ) وكتابه مملوء بالمبالغات والتهاويل والحكايات العجائبية، وهو في أساسه تصوير صادق للأرخبيل الهندي[١].

٣ – المرحلة الثالثة، وهي مرحلة مزج وصف البيئة والمكان بالحدث والخبر التاريخي، ويبرز ذلك عند عبداللطيف البغدادي[٢] ومجموعة ممن كتبوا في أدب الرحلات والجغرافيا بعد القرن السادس الهجري. وقد وصف البغدادي مصر واستغرق في وصفها المقطعي، فوصف النبات وأنواعه والحيوان، ومما قاله في وصف الحيوان "ومن ذلك الحمير، والحمير بمصر فارهة جدا، وتركب بالسروج وتجري مع الخيل والبغال النفيسة لعلها تسبقها، وهي مع ذلك كثيرة العدد ومنها ما هو عال بحيث إذ ركب بسرج اختلط مع البغلات، ويركبه رؤساء اليهود والنصارى، ويبلغ ثمن الواحد منها عشرين دينارا إلى أربعين"[٣].

أمّا الرحالة الثاني فياقوت الحموي، وقد اطلع على العديد من البلدان عن طريق رحلاته التجارية "فجال في إيران وبلاد العرب وآسيا الصغرى ومصر والشام وبلاد ما وراء النهر"[٤]، كما اطلع على أدب الرحالة في المؤلفات التي سبقته وفرّغ علمه في كتاب معجم البلدان سنة ٦٢١هـ الذي يعدّ خلاصة علمه في الجغرافيا والتاريخ والأدب، و"امتاز ياقوت عن كثير من مؤلفي العرب بملكة النقد التي كانت تتجلى في روايته بعض الأساطير الذائعة في عصره، وفي حكمه على تلك الأساطير والتعليل لها"[٥] ومما قاله في بعض أسفاره "وكنت قدمت نيسابور سنة ٦١٣هـ وهي الشاذياخ

(١) بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ج٥، ٢٥١.

(٢) ينظر ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص٦٨٣–٧٠٠. واسمه موفق الدين أبو محمد عبداللطيف بن يوسف بن محمد المعروف بابن اللباد، موصلي الأصل بغدادي المولد، اشتهر بالعلوم، وكثرة التأليف ، عالم في اللغة والحديث والكلام والطب، مولود سنة ٥٥٠هـ، تعلم على ابن الأنباري، وابن عبيدة الكرخي، وابن الخشاب، اللغة والنحو والقران والحديث، رحل إلى الموصل ٥٨٥هـ، وتعلّم فيها الكيمياء، ثم رحل إلى دمشق، ثم رحل إلى مصر أيام الحروب الصليبية، ولقي فيها عناية خاصة من ابن سناء الملك والقاضي الفاضل، ثم ذهب إلى دمشق والتقى صلاح الدين الأيوبي، وبعد وفاته عاد إلى مصر وتفرّغ لتعليم الناس في الجامع الأزهر، وألّف كتابه " كتاب الإفادة والاعتبار" ثم ذهب إلى القدس وأقام بها مدة، وصنف في جنبات الأقصى العديد من المصنفات، وعاد بعدها إلى دمشق سنة ٦٠٤هـ، واشتغل بالطب، ولم يلبث أن غادرها إلى حلب، فبلاد الروم فأقام سنوات، ثم عاد إلى حلب ٦٢٥هـ، واشتغل بالتأليف وتدريس صناعة الطب، وله في الطب عدة مقالات، وفي اللغة والشعر والمنطق والحيوان.

(٣) البغدادي، عبد اللطيف. الإفادة في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تحقيق: عبد الرحمن عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م، ص٨٣.

(٤) حسن، زكي محمد. الرحالة المسلمون في القرون الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م، ص١٠٠.

(٥) حسن، زكي محمد. الرحالة المسلمون في القرون الوسطى، ص١٠٦.

فاستطبتُها، وصادفت بها من الدهر غفلة خرج بها عن عادته، واشتريت بها جارية تركية... وصادفت من نفسي محلا كريما، ثم أبطرتني النعمة، فاحتججت بضيق اليد فبعتها، فامتنع علي القرار، وجانبت المأكول والمشروب حتى أشرفت على البوار،... فعمدت إلى إرجاعها فلم يكن إلى ذلك سبيل... فقلت في ذلك:

ألا هل ليالي الشاذياخ تؤوب فإني ما حييت إليها طروب "[١]

أما رحلة ابن بطلان[٢] فقد بدأها سنة ٤٤٠هـ، وقد خرج من بغداد إلى الموصل فديار بكر فحلب ثم مصر التي وصلها ٤٤١هـ، ثم ذهب إلى القسطنطينية ٤٤٦هـ، ثم ذهب إلى إنطاكية وبقي فيها حتى وفاته ٤٥٥هـ[٣] وكتب رحلته سنة ٤٤٢هـ تحدث في رحلته عن الحياة الاجتماعية للمناطق التي زارها والمهن والتقنيات والمصطلحات المنسية، وكانت حواراته تفوح بنكهة لهجة عامية[٤] وفي رحلاته خطرات أنثروبولوجية جديرة بالدارسة، وخطرات علمية تشير إلى تميز عقلي، ومما قاله في وصف أنطاكية "وأنطاكية بلد عظيم ذو سور وفصيل، ولسوره ثلاثمائة وستون برجا، يطوف عليها بنوبة أربعة آلاف حارس ينفذون من القسطنطينية من حضرة الملك، فيضمنون حراسة البلد سنة... وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتصل بجبل..."[٥]، ويشار إلى أن رحلة ابن بطلان "صيغت بأسلوب بسيط لا أثر للصنعة فيه، لأنّه كان شاعرا، إلا إذا استثنينا منها المقدمة التي استعمل فيها... بعض العبارات التي يكتنفها التكلّف، أما مساجلاته مع ابن رضوان فكانت مساجلات علمية منطقية فلسفية صيغت بأسلوب علمي"[٦].

(١) الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، ج٣، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٣٠٦، حرف الشين، مادة شادياخ.

(٢) ينظر ابن بطلان، أبو انيس المختار بن الحسن، رحلة ابن بطلان، تحقيق: شاكر لعيبي، دار السويدي للنشر، أبوظبي، ٢٠٠٦م، ص٥٢ ابن بطلان، ابن أبي الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن بطلان، طبيب نصراني بغدادي، كان كثير المطالعة في كتب الأقدمين، وله العديد من الرسائل في علم الطب، يختلف المؤرخون في زمن وفاته، فذكر القفطي أنّها سنة٤٤٤هـ، وابن العزي وحاجي خليفة يجعلونها ٤٥٠، وكراتشوفسكي يجعلها ٤٥٨هـ.

(٣) ابن بطلان، رحلة ابن بطلان، ص ٢٢.

(٤) ينظر ابن بطلان، رحلة ابن بطلان، ص٣٩ –٤٠.

(٥) ابن بطلان، رحلة ابن بطلان، ص٧٧.

(٦) مال الله، علي محسن عيسى. أدب الرحلات عند العرب في المشرق أساليبه وصوره الفنية من القرن الثالث حتى نهاية القرن الثامن الهجري، ص١٠٧.

وترد رحلة البيروني[١] إلى الهند متميزة في لغتها ومصطلحاتها الغامضة فقد تحدثت عن ثقافة الهنود ودياناتهم الوثنية المتعددة، لذلك يقال إن أسلوبه في الكتابة غامض لاحتوائه على مصطلحات لغوية وكلمات أعجمية مما جعلها ذات أسلوب علمي موجه إلى طبقة معينة من الناس مع أنّ البيروني ناظم للشعر وذواقة للأدب[٢]. ويشير اسم كتابه إلى "شدة عناية صاحبه بالمنهج الدقيق فهو تحقيق ونقد والوسيلة فيه ميزان العقل والمنهج موازنات بين مختلف الثقافات التي شاعت في عصره من هندية ويونانية وإسلامية "[٣].

ومن رحالة هذا العصر أبو حامد الغرناطي(ت ٥٦٥هـ) وقد جاب معظم أقاليم المغرب والمشرق وشرق أوروبا، ولد في غرناطة سنة ٤٧٣هـ، زار جزيرة سردينيا وصقلية ومصر وبغداد والموصل وإيران وقزوين ومصب الفولجا وخوارزم وبلغاريا وهنغاريا وحلب وتوفي في دمشق، وقد تميزت مدونته الرحلية بالمزج بين وصف المكان وتغليفه بالأخبار العجيبة والخرافات الغريبة وحكايات الجن والخبر التاريخي المتكئ على حكايات مروية وقصص شعبي، ومما أورده في تحفة الألباب" وذكر أنّ في فيافي المغرب أمة من ولد آدم كلّهم من النساء، ولا يكون بينهم ذكر، ولا يعيش على أرضهم، وإن أولئك النساء يدخلن في ماء عندهن فيحملن من ذلك الماء، وتلد كل امرأة بنتا ولا تلد ذكرا البتة" [٤].

ويشار كذلك إلى السائح الهروي (ت ٦١١هـ) وقد طاف الهروي في البلاد وأكثر الزيارت ويقال إنه "لم يترك برا ولا بحرا أو سهلا أو جبلا يزار إلا قصده، ولم يصل موضعا إلا كتب خطه على حائطه "[٥] وكتابه الإشارات معجم يذكر فيه قبور الأنبياء والصالحين وقد قال "إنما كان الغرض من

(١) الناهي، صلاح الدين عبد اللطيف. الخوالد من آراء أبي الريحان البيروني، دار الفكر للنشر، عمان، ١٩٨٥م، ص١٢-١٣، ولد البيروني في مدينة قاص من خوارزم، وهي شاه عباس اليوم، سنة ٣٦٢هـ وهو من المعمرين، ولد فقيرا ثم عاش في كنف بلاط خوارزمشاه، وتعلم السريانية والسنسكريتية، ومن شيوخه عبد الصمد الحكيمي، ثم التحق بكابوس بن وشكمير سنة ١٠٠٠م، وأهداه كتابه: الآثار الباقية عن القرون الخالية، تناظر مع ابن سينا، قرّبه سلطان الغزنوية، ورافق السلطان إلى الهند وفي هذه الرحلة كتب كتابه في الرحلة "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" كان عالما باحثا.

(٢) ينظر مال الله، علي محسن عيسى. أدب الرحلات عند العرب في المشرق أساليبه وصوره الفنية من القرن الثالث حتى نهاية القرن الثامن الهجري، ص ١٠٨.

(٣) الناهي، صلاح الدين عبد اللطيف. الخوالد من آراء أبي الريحان البيروني، ص١٣.

(٤) الغرناطي، أبو حامد، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، ص٤٣-٤٤.

(٥) الهروي، علي بن أبي بكر. الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٥، وانظر زيدان، جورجي. تاريخ آداب العربية، ص ٨٧٩. والهروي أبو الحسن علي بن أبي بكر علي الهروي، وأصله من هراة، ومولده بالموصل، ونزل حلب وتوفي فيها سنة ٦١١م.

هذا الكتاب ذكر زيارات الشام وذكر الأنبياء عليهم السلام والصحابة لا غير، ولما ذكرناهم ذكرنا من جاورهم من الأولياء والصالحين... واختصرنا خوف التطويل"[١].

ويشار في أدب الرحلة إلى القزويني الذي ولد في مدينة قزوين في العراق سنة ٦٠٠هـ، وطاف في إيران والعراق والشام وتوفي ٦٨٢م، تولى قضاء واسط والحلّة زمن المستعصم العباسي إلى أن سقطت في أيدي المغول وهو في ذلك المنصب[٢]، وله كتابان كبيران أحدهما في الفلك والجغرافيا الطبيعية عند العرب واسمه "عجائب المخلوقات" وآخر في التاريخ وهو "آثار البلاد وأخبار العباد" وفي مقدمة كتابه يقول "فذكرت في هذا الكتاب ما كان من البلاد مخصوصا بعجيب صنع الله تعالى، ويعرفك أحوال الأمم الماضين، وما كانوا عليه من مكارم الأخلاق ومآثر الآداب، ويفصح بأحوال البلاد كأنك تشاهدها"[٣]. وقد ضمّن كتابه مشاهدات بعض الرحالة عن بعض المدن الأوروبية مثل أبي الربيع سليمان الملتاني الرحالة، وإبراهيم الطرطوشي الأندلسي، وأحمد بن عمر العذري وتوفيا حوالي ٤٨٨هـ، ومن أجمل ما نقله القزويني عن الطرطوشي حديثه عن مدينة النساء، وهي مدينة واسعة الرقعة في بحر المغرب، "أهلها نساء لا حكم للرجال عليهن، يركبن الخيول ويباشرن الحرب بأنفسهن... ولهن مماليك يختلف كل مملوك بالليل إلى سيدته،... فإذا وضعت إحداهن ذكرا قتلته في الحال، وإن وضعت أنثى تركتها، قال الطرطوشي مدينة النساء يقين لا شك فيه حديث جزيرة النساء"[٤] وفي بحر الصين فيها نساء بلا رجال معهن أصلا، وإنهن يلقحن من الريح ويلدن النساء مثلهن، وقيل إنهن يلقحن من ثمرة شجرة عندهن يأكلن منها... وحكى بعض التجار أنّ الريح ألقته إلى هذه الجزيرة، قال: فرأيت نساء لا رجال معهن ورأيت الذهب في هذه الجزيرة مثل التراب... فهممن بقتلي فحمتني امرأة منهن وحملتني على لوح وسيبتني في البحر"[٥].

(١) الهروي، علي بن أبي بكر. الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص٨٥.

(٢) زيدان، جورجي. تاريخ آداب العربية، ص١٠١٨.

(٣) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود. آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٦.

(٤) المرجع نفسه، ص٦٠٧.

(٥) المرجع نفسه، ص٣٣

وممن يشار إلى رحلته بالبنان البلوي[١] وهو أحد كتاب القرن الثامن الهجري، ويوصف بأنّه عميق البحث، وقد كتب كتابا في أدب الرحلات يكاد يضارع كتاب ابن بطوطة، وصف فيه ما شاهد من أقطار المشرق وهو معاصر لابن بطوطة، وهو من سجل رحلته بدقة متناهية، وكتابه يعطي صورة لصناعة النثر الأندلسي وتطوره في القرن الثامن الهجري، وأسلوبه متروس بالصنعة الفنية يسير على الطريقة الفاضلية في الشكل وأداء المعنى والزخرفة اللفظية وتكرار الجملة، وقد عرض لتجربته الخاصة واتصاله برجالات الفكر والرواية عنهم[٢] وكتابه تاج المفرق في تحلية المشرق "يعج بالاستطرادات الأدبية واللاهوتية ومختلف الأمور التي تحتفظ بها ذاكرته"[٣].

ومما قاله في وصف رحلته في تونس "ولما تقرّى عن وجنة الأفق عذار الغيهب، وتتوج كسرى المشرق بالتاج المذهب، طفقت أتمشى في الأماكن المكينة، وأتخلل سكك المدينة، وأتعجب من محاسنها المستبينة، ووضوح قدمها ورسوخ قدمها، وبهجتها وانفراجها وانفساح رباها وأبراجها... فهي الدمية الغراء والقبة اللعساء والخريدة العيناء"[٤] وأخذ شيئا من رحلته عن ابن جبير.[٥] أما رحلة ابن خلدون فتوصف بأنّها" قطعة فريدة في الأدب العربي،... وصورة قوية ممتعة لتلك الشخصية الممتازة الجريئة التي رسمت في كثير من الحرية والصراحة " [٦].

الخطاب الرحلي القديم

تنوّعت أساليب كتابة أدب الرحلات القديم، فقد تميز أدب الرحالة الأوائل كالسيرافي بأنها حكايات شائقة تستهوي النفس لما فيها من لمحات خيالية ووضوح في الوصف، وطرافة الأخبار، والحديث عن الأعاجيب. أمّا لغة الجيل الثاني من الرحالة الأوائل كاليعقوبي فتميزت بالخصب وسعة الخيال والميل نحو العلمية والتبسيط في العرض والدقة في الوصف، ولا تخضع لغتهم للمواصفات التي تجعلها كتابة

(١) ينظر البلوي، خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ج١، تحقيق: الحسن السائح، صندوق إحياء التراث الإسلامي، المملكة المغربية، والإمارات العربية، ص١٨ وهو أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد البلوي القنطوري، صاحب الرحلة إلى المشرق سنة ٧٣٦هـ، كاتب شاعر وقاض من من بلدة قنطورية في الأندلس تلقى العلم على علماء عصره، وتلقى بعض علومه في فاس بالمغرب قبل رحلته ثم عاد إلى مدينته،، ألّف رحلته المسماة تاج المفرق في تحلية علماء المشرق التي حوت الفرائد من الأدب والعلوم، تولّى القضاء في قنتورية وفي برشانة، وفيها أتمّ كتابة رحلته، وتوفي حول سنة ٧٦٥ هـ، وربما ٧٦٧هـ، وأشار جورجي زيدان إلى أنّه توفي ٧٤٠هـ.

(٢) البلوي، خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ج١، ص٥-٦.

(٣) صدوق، محمد حاج. جنس الرحلة، ص٢٠٨

(٤) البلوي، خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ج١، ص١٦٦.

(٥) زيدان، جورجي. تاريخ آداب العربية، ص١٠١٩.

(٦) عنان، عبدالله. ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، القاهرة، ط٢، ١٩٦٥م، ص ١٦١.

فنية متميزة.[١] أو خطابا متساوقا في أدبيته. وقد "غلب على لغة الرحلة التكلّف والتأنق من سجع وبديع... إلا أنّ القلة... صاغوا وصفهم للرحلة بلغة واقعية بعيدة عن الحشو بالمفردات التقليدية الثقيلة على الأسماع"[٢].

وقد سلكت اللغة عند الرحالة القدماء مسلكين متباينين هما: فكه وجد، أمّا الفكه فقد أضفى "الحيوية وتلوين النص بالإثارة والتشويق التي تمتع القارئ وتشدّه، فخلط بعض كتاب الرحلات بين الجد والهزل... وهناك من كتب مواضيع رحلته بطريقة جادة رصينة بعيدة عن التشرذم الكلامي والعبث اللفظي... ومنها الأجزاء التي وصف فيها الرحالة الدور والقصور وما ماثلها من معالم البنيان، وصفا تقريريا جافا لا هدف منه سوى نقل المعرفة على صورتها الواقعية"[٣].

وصاغ بعض الرحالة رحلاتهم بأسلوب قصصي جذاب اعتمد الوصف أحيانا والخيال أحيانا أخرى، وممن صاغ قصته بأسلوب يعتمد الوصف ابن فضلان وابن بطوطة، فقد سرد مجموعة من الحكايات الواقعية المتسمة بالغرابة التي صادفها، كحديث ابن فضلان عمّا عاناه من أهوال السفر من برد شديد ومخاطر واحتجاز ثم ارتحال، وما رواه من حكايات غرائبية في بلاد البلغار عن التجارة والموت والدفن وطقوسه، وما قصه ابن بطوطة عن المجتمعات الهندية أو الصينية وغيرهما، وما قصّه عن أكلة لحوم البشر في بعض الأصقاع ببعيد عما فعله ابن فضلان. وهناك قصص وحكايات خيالية أو تختلط بالخيال، كحكاية السمكة التي رواها ابن فضلان حين قال" يخرج الله عز وجل لهم كل يوم سمكة من البحر، فيجيء الواحد منهم ومعه المدية فيحز منها قدّ ما يكفيه ويكفي عياله، فإن أخذ فوق ما يقنعه اشتكى بطنه، وكذلك عياله يشتكون بطونهم، وربما مات وماتوا بأسرهم، فإذا أخذوا منها حاجتهم انقلبت ووقعت في البحر، فهم في كل يوم على ذلك"[٤].

وما يهمّ الباحث حين يتناول الجانب الأدبي من المدونة الرحلية هو خطابها وأدبيتها، وطريقة صياغة ألفاظها، ووشائج نسج تلك الألفاظ وتصاعد أبينتها اللغوية، ولا ينتبه كثيرا إلى ما تقدمه من معرفة جغرافية أو تاريخية أو أنثروبولوجية مع أهمية تلك المعرفة، ذلك أنّ الخطاب ليس موضوعا من عبارات، وإنما هو عبارات ملفوظة... هو ملفوظات غير أنّ تأويل الملفوظ محدد من جهة بالعبارة

(١) مال الله، علي محسن عيسى. أدب الرحلات عند العرب في المشرق أساليبه وصوره الفنية من القرن الثالث حتى نهاية القرن الثامن الهجري، المورد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، مجلد ٣، عدد١، ١٩٧٤م، ص١٩٤.

(٢) الملحم، غازي خيران. السمات الفنية في أدب الرحلة، ص٢٧.

(٣) الملحم، غازي خيران. السمات الفنية في أدب الرحلة، ص٢٧.

(٤) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص١٣٨.

التي تلفظها ومن جهة ثانية بالتلفظ ذاته، وهذا التلفظ يستتبع متكلما يتلفظ ومستمعا تتوجه إليه بالتلفظ ذاته وزمانا ومكانا وخطابا يسبق ثم يتلوه، باختصار إنه يستتبع سياقا للتلفظ وبتعبير آخر، فالخطاب هو دائما بالضرورة فعل الكلام"(١).

وخطاب الرحلة خطاب متميز بخصائصه الذاتية والمستقلة، وبما يشكله من علاقات مع غيره من الخطابات التي تلتقي معه في العديد من الصفات، ويتداخل مع العديد من البنيات في مزيج من وشائج العلاقات الخاصة والعامة، كما ينسرب الخطاب الرحلي وفق مجموعة من الجدليات جدلية المعرفة، والمسرحة والدلالة، يحكمه المقام التواصلي للسارد الرحالة، ويتشكل في بوتقة " الأنا السارد، والفضاء المجتاز والممحص، والآخر المتخذ طرفا مجهولا... أو مسرحا للاختلاف قابلا أن يوصف"(٢).

ويتشبث الخطاب الرحلي بأداتي التنقل والملاحظة ثم يعيد إنتاج العالم المنظور عن طريق بذل الجهد في الربط بين دلالات الأشياء والوصول إلى فهم ما يفسر طبيعة سلوكات الآخر، وفق الثقافة الخاصة بالرحالة من خلال ثنائية الهوية والغيرية." وعليه فإن لعبة الهوية والغيرية الثابتة هي أساس إنتاج المعنى الذي تفرزه الرحلة"(٣) وتبدو الرحلة وكأنّها كشف ملموس للاغتراب المكاني الذي يحتدم عند تبادل النظر بين الناظر والمنظور إليه (٤).

ولعل ما يميز الخطاب الرحلي بنية السفر، فبنية السفر فيه مهيمنة ومتحكمة وجاذبة لباقي البنى، لذا حين تحضر بنية السفر في عمل أدبي ما، وتشكّل عنصرا مهيمنا فيه، يصنف هذا العمل في أقصى حد ضمن أدب الرحلات، وفي أدنى حد يقال عنه إنه يعارض جنس أدب الرحلات(٥).

(١) تودوروف، تزقيطان. نظرية الأجناس الأدبية، ترجمة: عبدالرحمن بوعلي، دار نينوى للدراسات، دمشق، ٢٠١٦م، ص ٢٧.

(٢) كريزنسكي، فلادمير. خطاب الرحلة ومعنى الغيرية، ترجمة: يونس شهب، ندوة الرواية والسفر- تقاطعات التخييلي، والتسجيلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمنسيك، الدار البيضاء،٢٠١٥م، ص ٢١.

(٣) كريزنسكي، فلادمير. خطاب الرحلة ومعنى الغيرية، ص٢٣.

(٤) كريزنسكي، فلادمير. خطاب الرحلة ومعنى الغيرية، ص ١٨.

(٥) السلمي، صادق. التخييلي والرحلي في رواية أيام في مومبي، ص ٧٠.

كما يتحكم العالم المنظور والعالم الذي ينتمي له الرحالة في خطاب الأدب الرحلي، لذا تتيه المعاني بين ما هو غريب وما هو مألوف "ويسفر هذا التبادل في الغالب عن تخيل الآخر من خلال صورة نمطية، تحبس الأحاسيس داخل خطاطات سردية وخطابية تقبل بها جماعة القراء التي ينتمي إليها الرحالة السارد"(١).

وتتميز لغة الخطاب الرحلي بالاحتفال بلغة الوصف المتكىء على الجملة الفعلية، أو الوصف بالجملة الاسمية، وغلبة لغة الوصف على كثير من فضاء أدب الرحلة، وتكرار بعضا من الصيغ اللفظية (٢) مثل: كثير وكثيرة وقليل وغزير ولهم، والحر والبرد.

وقد أكثر الرحالة من الأساليب المناسبة للإدراك الحسي بالموجودات من حوله، كاستخدام أسلوب التفضيل وذلك لإبراز محسوسات معينة بمقارنتها بمحسوسات أخرى "وذلك بزيادة الوصف في عنصر على آخر، سواء أكان ذلك إيجابا أم سلبا، فترجح كفة الموصوف المفضل، ويتضح المعنى المقصود بالوصف، ويثبت باقترانه به وحده، فيصبح بذلك بؤرة الوصف المبتغى، ومقصد الرحالة"(٣).

كما أكثرت المدونات الرحلية من استخدام أسلوب الربط المعتمد على أدوات الاستثناء والحصر وهو ما يطلق عليه المهتمون بتحليل الخطاب بالوصل العكسي، كقولهم عن سمة بعض الأمكنة "غزيرة الماء رحبة، إلا أن ماءها ثقيل" ونحو ذلك (٤).

ويبدو أنّ الرحالة يمزجون بين المرئي والمسموع في بناء خطاب رحلاتهم، ويميل الخطاب المسموع نحو استيعاب الجانب السردي العجائبي، فالرحلة القديمة لا تخلو من السرد (التخييل) معتمدة على مهيمنين أساسيين هما الحلم والعجائبي، ويرد العجائبي في خطاب الرحلة القديم كنسق من أنساق المتعة، وهو نسق غايته إرضاء المتلقي الشعبي الذي يستهويه الخيال الجامح، ويرى في القراءة متعة وتسلية قبل أن تكون سبيلا إلى المعرفة" (٥).

(١) كريزنسكي، فلادمير. خطاب الرحلة ومعنى الغيرية، ص١٧.

(٢) ينظر الشقران، نهلة. خطاب أدب الرحلات في القرن الرابع الهجري، الآن ناشرون وموزعون، عمان، ٢٠١٥م، ص٣٦- ٤١.

(٣) المرجع نفسه، ص٩٥.

(٤) المرجع نفسه، ص ١١٨.

(٥) السلمي، صادق. التخييلي والرحلي في رواية أيام في مومبي، ص٧٨.

و" تعدّ كل رحلة فهرسا لحكاية محرّفة ناقصة ذات مداخل ثلاثة: فالرحلة انتقال في الفضاء المعتاد موجه... على المستوى الأفقي والعمودي فتكون مسارا للاستيلاء على الأرض، أو زيارة أو اكتشافا أو جولة، والرّحلة بحث علمي يكشف رويدا رويدا عن التناول الموسوعي، ولذلك كان الرحالة مهندسا أو عالما أو جغرافيا...أو غير ذلك... وتكمن الغاية في إيجاد الموضع المفضل حيث ينفرج هذا الشكل أو ذاك من تلقاء نفسه، وفي اكتشاف المكان المفضل، حيث هذه المعرفة أو تلك قابعة"(١).

وتتضخم في عيني الرحالة " الصور ويرى بعيني المسحور بما علم أو سمع من قبل عن بلد الزيارة، وهو معهود عند بعض الرواة يحكون الأعاجيب والأكاذيب عن مشاهدات مزعومة في بلدان زاروها بالمسموع أو المقروء لا بما يقع عليه البصر ويشهد عليه أو ضده الواقع"(٢).

ويستثير الخطاب الرحلي الآخر الغريب ويجعله قلقا ويحفزه على إعادة إنتاج تلك الغرابة عن طريق خطاب السرد، ويحاول بذلك أن يجد للمشاهد الغريب معنى، ولا يملك أمام ذلك إلا الولوج في عالم الآخر والانبهار بالأشكال والألوان والحركات. فالرحلة تجربة بصرية تربط المرتحل بالفضاء الجغرافي، وتبني بينهما علاقة تقوم على الدّهشة، وتثير في نفسه مجموعة من الاستجابات بعضها سلبي وبعضها إيجابي، يحكمها القلق والافتتان.

ويسمح "التقارب بين خطاب الرحلة الأدبي وبين الرحلة الإنثوغرافية بعرض الفكرة القائلة إن بين الطرفين تكاملا وظيفيا، يكشف عن تعدد قضية الآخر وقضية الغيرية، ويعود هذا التقارب بين الخطابين إلى كون كاتب الرحلة أو الرحالة الناسخ هو أيضا بالضرورة إنثوغرافيا مثلما أنّ الأنثوغرافي لا يملك إلا أن يكون كاتبا"(٣).

إنّ الخطاب الرحلي من الخطورة بمكان فهو الذي يسوق الآخر بين المجتمع الذي ينتمي إليه الرحالة السارد، وقد يسوقه إلى غيره حين يتحول خطابه إلى خطاب مكتوب متداول، ولعل الصورة النمطية المثقلة بالتعميمات المجحفة للعرب عند الأوروبيين قد سوقت عن طريق الخطاب الرحلي. يقول هنري ميشو في كتابه همجيّ في آسيا "إنّ العربي عنيف جدا في لغته التي يلفظها، والعربي قاس ومتعصب، والتركي غاز وجاف، وإلى ذلك فعطرهما يبعث على الغثيان، وطعامهما مربى

(١) كريزنسكي، فلادمير. خطاب الرحلة ومعنى الغيرية، ص٢٢.

(٢) حليفي، شعيب. رواية السفر والكتابة بالمشاعر، ندوة الرواية والسفر– تقاطعات التخييلي والتسجيلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمنسيك، الدار البيضاء،٢٠١٥م، ص٥٧.

(٣) كريزنسكي، فلادمير. خطاب الرحلة ومعنى الغيرية، ص٣٢.

الأزهار والحلقوم"[١]. كما أنّ خطاب الرحالة العرب لم يخل من أحكام قيمية شكلت صورة نمطية عن الآخر، فقد أسهمت المرويات الرحلية في اختزال صور كثيرة من الأمم الأخرى إلى كتل صماء على خلفية النزاعات الدينية أو السياسية وتباين الثقافة[٢]، ولعل النعوت التي أطلقها ابن فضلان وابن بطوطة عن بعض المجموعات البشرية التي زارها تشي بذلك.

ويتشكل خطاب الرحلة عبر الحوارات المبثوثة بين السارد ومخاطبة الآخرين كما ترتسم المسافات الحسية والفجوات الوجودية بين الداخل والخارج عبر تلك الحوارات أيضا، وقد يعمد الرحالة إلى استخدام خطاب السخرية، وعن طريق "بطاقة السخرية تستقيم المواقف والمشاهد، وتكتسب نسغها الدرامي، وبإضمار التهكم تتشكل الفضاءات، ويضخ فيها نبض الحياة"[٣] و"تصير السخرية ولعا أصيلا، ومقصدا جماليا يبدي نقيض ما يضمر من قيم الاعتداد بالذات وإدمان مناهجها ومفاجعها على حد سواء"[٤].

ويركن الخطاب الرحلي إلى العجيب من الحكايات، ولعلّ العجيب ركن أصيل في أدب الرحلة يشكل محورا اهتمام الرحالة والمتلقي. فالرحالة في سفره يواجه عجائب البلدان وغرائب الموجودات، والمتلقي يبحث عن العجيب الذي دفع الرحالة إلى الرحلة، ويبدو أنّ أجمل خطابات الرحلة هو الخطاب الذي يحلق بمتلقيه في عوالم العجيب والغريب[٥]. ويحدث العجائبي في المتلقي شيئا من المتعة عن طريق التأثير والإحساس بالخوف، فهو يتجاوز حدود الحكاية الخرافية الصرف باستعمال الخوف محركا للحكي، ويتدخل الخارق للطبيعة (للحكاية) تدخلا لا علة له، ويكون أدهش متى حدث ذلك في عالم واقعي [٦].

يتميز السرد في أدب الرحلة بأنّه من " السرد اللاحق للحدث وهو زمن السرد الشائع في القصة والأحداث لا تروى إلا بعد أن تقع، كأن يقال: كان، حدث، وقع"[٧] ويحفل محكي السفر في بنائه

(١) كريزنسكي، فلادمير. خطاب الرحلة ومعنى الغيرية، ص٣٦.

(٢) ينظر إبراهيم، عبدالله. موسوعة السرد العربي، ص٥٠-٥٢.

(٣) شرف الدين، ماجدولين. السفر والتخييل والمقايسة الهجائية، ندوة الرواية والسفر- تقاطعات التخييلي والتسجيلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمنسيك، الدار البيضاء،٢٠١٥م، ص٦٣.

(٤) شرف الدين، ماجدولين. السفر والتخييل والمقايسة الهجائية، ص٦٤.

(٥) ينظر التوازني، خال. الرحلة فتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، ص ١٣.

(٦) ستالوني، إيف. الأجناس الأدبية، ترجمة محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٤م، ص ١٥٢.

(٧) مقدادي، موفق رياض نواف. بنية الحكاية وصيغها المتنوعة، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، عدد ١٥٤، ج١، يوليو، ٢٠١٣م، ص٥٩٤

الترابطي في الترابط التسلسلي وهو رصف مختلف القصص ومجاورتها بعد الانتهاء من القصة الأولى حيت الشروع بالقصة الثانية، وما يضمن الوحدة في هذه الحالة هو التشابه في بناء كل قصة... بواسطة التنضيد... تتابع قصص قصيرة مستقلة كل واحدة عن الأخرى، ولكن تصل فيما بينها شخصية مشتركة، ويعدّ السفر محفزا لوجود هذه القصص، وهو الأكثر ورودا في نسق التنضيد، خصوصا السفر بحثا عن عمل، حيث تكثر المغامرات التي تطارد البطل[١]" .

ومن أهم خصائص الخطاب الرحلي:

أ- استخدام ضمير الأنا المتكلم باعتباره راويا وشاهدا مركزيا بما يشبه السيرة الذاتية

ب- هيمنة بناء السفر ومساره ذهابا وإيابا، ففي النص الرحلي يتماهى البناء الزمني مع مسار السفر.

ج- يتوزع الخطاب الرحلي على صيغتي السرد والوصف، وتمتزج الفقرات التي تسرد الأحداث والمغامرات المختلفة مع الفقرات الوصفية، لكنّ صيغة الوصف هي السائدة، ويأتي السرد لخدمة الوصف، فالرحلة خطاب وصفي لاهتمامها بالفضاء المكاني في زمن محدد.

د- أدب الرحلة إطار ناظم لسلسلة من التنويعات الأسلوبية والرؤى الذاتية والمواقف الثقافية والأحكام القيمية والاكتشافات الجديدة، ومغالبة الشعور بالاغتراب والبعد عن الأوطان وسبر غور مناطق نائية والعودة بذخيرة عجيبة[٢].

هـ- يتناوب في الخطاب الرحلي مزيج من صيغ الإخبار والوصف والحكم الذي رسم في المخيال العربي الإسلامي وهويات الأمم الأخرى وهو خليط من الوقائع والتخيلات، واختص بتمثيل سردي موسع لمعظم أرجاء العالم.

و- خطاب الرحلة يتماهى مع الرحلة وعوالمها ويسعى إلى مواكبتها من البداية إلى النهاية، يحدد أسباب الرحلة ودوافعها وزمن الخروج ومكانه، وكلما انتقل الرحالة إلى مكان واكب الخطاب هذه الانتقالات والتحولات، وصولا إلى النهاية (نهاية الرحلة) والرجوع إلى نقطة البداية. (خطاب دائري) [٣].

(١) مقدادي، موفق رياض نواف. بنية الحكاية وصيغها المتنوعة، ص٥٩٦

(٢) إبراهيم، عبدالله. موسوعة السرد العربي، ج٣، ص٦، وينظر عشموش، مسعود. المقاربات السردية لأدب الرحلة في النقد العربي، الرأي برس، ٢٠١٨/١١/٨م، www.alraipress.com

(٣) يقطين، سعيد. السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص٢٠٧.

ز- خطاب الرحلة يوازي فعلها ويرتهن بها ولا يستخدم خطاب استرجاع واستباق إلا نادرا، ويتحصل هذا النمط من الخطاب في رحلة ابن جبير فـ "التلازم بين الرحلة والخطاب، يجعل الخطاب بوجه عام قائما على ترهين الرحلة وتقديم عوالمها ورصد جزئياتها وتفاصيلها... (و) بناء الرحلة التسلسلي يبرز جليا على صعيد الخطاب... إنّ خطاب الرحلة هو عملية تلفيظ لفعل الرحلة، وبعملية التلفيظ هذه يختلف خطاب الرحلة عن غيره من الخطابات المجاورة التي تقوم على أساس فعل الرحلة، ولكنّها تستثمر جوانب منها فقط، وتوظّفها في خطاب ذي طابع مختلف" (١).

ح- يتوازى الفعل والخطاب في الرحلة، وتتكون ذات مركزية تتحرك في فضاءات متعددة، فهي مركز والعالم حولها، فهي من ناحية بؤرة الحكي، والفضاء يُقدَّمُ لنا من خلال منظورها الخاص، وهي كذلك الذات التي تتكلم عنه. والمتكلم في خطاب الرحلة يزدوج إلى: راو ومبئر في آن معا، المبئر يرصد المرئيات والمسموعات وينقلها للعالم وفق رؤية الذات، والراوي ينقل الصورة التي لملمها المبئر، فالمتكلم مبئر وراوي تجربة حية ومعيشة، والمتكلم هو الشخصية التي تتحرك داخل الفضاء وتتعرض إلى جملة من الأحداث داخل ذلك الفضاء (سجن، زواج أو غير ذلك..) (٢).

ط- يهتم دارس أدب الرحلة بالجوانب الفنية والتقنية والجمالية وبطبيعة خطاب الرحلة. كما يهتم بالجوانب اللغوية واللسانية في ذلك الخطاب ويسعى إلى وضع اليد على تطور لغة الكتابة الرحلية، وعلاقة تطورها بالعصر الذي تنتمي إليه.

ك- الاهتمام بتفاعل خطاب الرحلة مع غيره من الخطابات القريبة والبعيدة والعالمة والشعبية بالنظر إلى المستوى التركيبي أو النحوي، أو المستوى الدلالي. المستوى الأول يفسح البحث في علاقة خطاب الرحلة بغيره وعن تفاعلها تأثرا وتأثيرا في الخطابات السردية اللاحقة وتطورها وتاريخ تشكلها، أما المستوى الدلالي فيفسح المجال للبحث في البنيات النّصية المتفاعلة ونوع هذه النصوص (دينية، وأدبية،...)، وكذلك البحث عن الأنماط النصية المولدة والمتولدة عن تلك التفاعلات من خلال نصوص الرحلة. وهناك أبعاد دلالية قريبة وأخرى بعيدة ينهض على أساسها نص الرحلة، و "يحمل نص الرحلة سمات عامة وكلية يشترك فيها مختلف النصوص، والتي نجدها كامنة (أي الأبعاد) في المستويات الثقافية والحضارية العامة، والتي نمثّل لها بعالم أو عوالم البنيات الذهنية والتمثلات المختلفة الجوانب للعالم، والتي تذهب من الوقائعي إلى المتخيل مرورا بالتخييل والعجائبي، وبوصول البحث إلى الكشف عن هذه العوالم يلتقي بالضرورة مع باقي

(١) يقطين، سعيد. السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص٢١٠.

(٢) يقطين، سعيد. السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص٢١٢.

العلوم الإنسانية والاجتماعية المختلفة التي تملك إستراتيجية معينة للبحث في تطور الأفكار والذهنيات والبنيات العقلية والتخييلية المختلفة"[١].

ل- هناك نوعان من الشخصية في خطاب الرحلة.

أ- الراوي المبئر (رؤية برانية): الذي يرصد العالم، الفضاء الموضوعي عن مسافة تقترب أو تبتعد، ويستخدم الوصف كبنية خطابية صغرى (صيغة) يقدم الذي يشاهده، مستخدما ضمير الغائب، ومثال ذلك ابن جبير حين قدم مناقب الإسكندرية...[٢] وينقل المبئر مشاهداته بواسطة الوصف الموضوعي لكنّه لا ينفك عن ذاتيته، إذ يصف بمنظوره الخاص ويحكم على الموصوف بوجهة نظره، وتتعدد الموضوعات التي يصفها وفوائدها. ويستخدم في وصفه ضمير الغائب بمختلف ما يتركه من أثر إيجابي أو سلبي.. أماكن، بنيات،... ولا يكتفي بتبئير المشاهد بل يبئر المسموع أيضا... من أحداث وأخبار وحكايات... ويقدّم للمتلقي معرفة مبنية على العيان والسماع لتغدو معرفته موضوعية لا شك فيها.

ب- الراوي الشخصية (رؤية جوانية) ينفعل بالفضاء، ويقع عليه الفعل إيجابيا أو سلبيا ويستخدم ضمير المتكلم، ويستخدم السرد في تقديم ما وقع له ذاتيا من أهوال البحر، هجمات لصوص، تعسف أمناء، لقاء شيوخ والتعلم منهم،[٣] ومن الرواي الشخصية قول ابن جبير "وأصبحنا... الهول يزيد..."[٤].

م- خطاب السرد والتقرير: خطاب الراوي الشخصية السرد، وخطاب الراوي المبئر التقرير والعلاقة بين الخطابين تكاملية، وخطاب الرحلة يتمحور حول ذات (شخصية) وهي تتحرك في الفضاء، وخطاب الراوي الشخصية – الإطار وهو الذي تنفتح به خطاب الرحلة، فكلّما تقدمت الذات في الانتقال تراجع خطاب الراوي الشخصية لفائدة خطاب الراوي المبئر، وبما أنّ خطاب الرحلة مكاني فهناك حضور أساسي للمبئر، وهو يتناوب مع الراوي الشخصية وهكذا[٥].

(١) يقطين، سعيد. السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص٢٢٤-٢٢٥ .

(٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، د.ت، ص١٥.

(٣) يقطين، سعيد. السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص ٢١٥-٢١٦.

(٤) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٨٩.

(٥) يقطين، سعيد. السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص٢١٨

خاتمة:

تناول البحث أدب الرحلة من زوايا ثلاث: خصائص الجنس، وتطور الأدب، وطبيعة الخطاب السردي. ووجد أنّ جملة من مرويات أدب الرحلة تمتلك خصائص سردية تجعلها جنسا أدبيا لكنّها تتقاطع مع العديد من الأجناس الأدبية كالرواية، والسيرة الذاتية، والمذكرات، والكتابات المعرفية كالنثر التاريخي، والأدب الجغرافي، والكتابات الإنثوغرافية في بعض خصائصها، ويتميز الأدب الرحلي عن غيره بالعديد من الخصائص، ومنها أن بنيته تقوم على محكي السفر، وأنّها تعتمد على السرد والوصف المتراهن مع الواقع، والتخييل، ويبرز فيها ضمير المتكلم، وتعتمد على الحكاية العجائبية والخبر المروي أحيانا.

وتوصّل البحث إلى أنّ أدب الرحلة جنس أدبي فردي ينبني على محكي السفر، يسوقه سارد/ رحالة يصف فيه تجارب التطواف ويسجل مشاهداته الواقعية، وقد يستعين بمصادر مكتوبة أو مروية في تشكيل نصه، ويمزج بين اللغة التقريرية والوصف، لكنّه يستعين بالسرد والتخييل في تشكيل خطابه، ويسوق حكايات غريبة تكشف عن التمايز الثقافي بين الرحالة والجماعات البشرية التي يسبر فضاءها، وتستجيب المرويات الرحلية لغريزة حب الاستطلاع لدى الرحالة كما تدهش القارئ بخطابها القائم على المغامرة والعجائبية.

وقد استجاب العرب إلى غريزتهم الإنسانية في الترحال وحققوا بذلك مجموعة من الوظائف الحياتية: كالحج والعلم والتجارة والزيارة والسفارة السياسية وغيرها، لكن مدوناتهم تباينت في أسلوب كتابتها: فمنها ما أمعن في التقريرية والوثائقية مما أخرجها من دائرة الكتابة الأدبية، وغمسها في مرجل كتابة العلوم الجغرافية والدينية والتاريخية والأنثروبولوجية، وهذا النمط من الكتابة لا ينضوي تحت مظلة الرحلة الأدبية. ومنها ما صيغ بأسلوب أدبي يراوح بين السرد والوصف والحوار والتخييل والذاتية والإمتاع، فجاء خطابه خطابا أدبيا بامتياز.

وقد تأثر خطاب الرحلة بالفضاء الذي تشكل فيه، فتميز الخطاب الذي صور الفضاء خارج إطار البيئة الإسلامية بالإشفاق على حال المزورين في بعدهم عن التوحيد انطلاقا من ثقافة الرحالة السارد، كما وصلت بعض محكيات الخطاب حد السخرية من سلوكيات بعض الجماعات البشرية واحتقارها، أو التهويل في تصوير غرائبيتها. وتميز خطاب الرحلات البحرية باحتوائه على الحكايات العجائبية التي سجلت اعتمادا على تذكر أهوال المنظور أحيانا والمروي الأسطوري أحيانا أخرى.

المراجع

إبراهيم، عبدالله. موسوعة السرد العربي، ج٣، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، المجلس الوطني للإعلام، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٦م.

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

الأهواني، عبد العزيز. الخيال الشعبي في الأدب العربي، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة العدد ١٠٠، ٢٠١٥م.

بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط٥.

ابن بطلان، أبو أنيس المختار بن الحسن، رحلة ابن بطلان، تحقيق: شاكر لعيبي، دار السويدي للنشر، أبو ظبي، ٢٠٠٦م.

ابن بطوطة، محمد بن عبدالله الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مراجعة: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا . بيروت، ٢٠١٣م.

البغدادي، عبد اللطيف. الإفادة في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تحقيق: عبد الرحمن عبدالله الشيخ، العيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م.

البلوي، خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ج١، تحقيق: الحسن السائح، صندوق إحياء التراث الإسلامي، المملكة المغربية والإمارات العربية.

التوازني، خالد. الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، دار السويدي للنشر، أبو ظبي، ٢٠١٧م.

تودوروف، تزقيطان. نظرية الأجناس الأدبية، ترجمة عبدالرحمن بوعلي، دار نينوى للدراسات، دمشق، ٢٠١٦م.

التونجي، محمد. المعجم المفصل في الأدب، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م.

ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، د.ت.

الحاتمي، محمد. الرحلات المغربية السوسية بين المعرفي والأدبي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠١٢م

الحجري، إبراهيم. شعرية الفضاء في الرحلة الأندلسية (نموذج القلصادي)، دار النايا، دمشق، ٢٠١٢م.

حسن، زكي محمد. الرحالة المسلمون في القرون الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت ، ١٩٨١م.

حليفي، شعيب. الرحلة في الأدب العربي التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، الهيئة العامة للقصور الثقافية، كتابات نقدية، شهرية١٢١، أبريل، ٢٠٠٢م.

حليفي، شعيب. على سبيل التقديم العبور إلى التخييل، ندوة الرواية والسفر – تقاطعات التخييلي والتسجيلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء، ٢٠١٥.

الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، ج٣، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي. صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت. ١٩٩٢م.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد بن عبدالله. المسالك والممالك، ابن موسى المنجم، ليدن، ١٨٨٩م.

أبو دلف، مسعر الخزرجي. الرسالتان الأولى والثانية للرحالة أبي دلف الخزرجي في القرن الرابع الهجري، عرض وتحليل، عرض: عليان عبد الفتاح الجالودي، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد ٩، العدد ٢، ٢٠١٥م.

أبو دلف، مسعر بن المهلهل الخزرجي. الرسالة الأولى، تحقيق: مريزن سعيد مريزن عسيري، جامعة أم القرى، مكة، ١٩٩٥م.

الدويهي، جبور. الرحلة وكتب الرحلات الأوروبية إلى الشرق حتى نهاية القرن الثامن عشر، مجلة الفكر العربي، عدد ٣٢، أبريل–مايو، ١٩٨٣م.

ذاكر، عبد النبي. يوم دراسي حول أدبية خطاب الرحلة، دراسات، جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، عدد ٨، ١٩٩٨م.

روباش، جميلة، أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ٢٠١٥م.

زيادة، نقولا. الجغرافيا والرحلات عند العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.

زيدان، جورجي. تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٣م.

ستالوني، إيف. الأجناس الأدبية، ترجمة محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٤م.

السلمي، صادق. التخييلي والرحلي في رواية أيام في مومبي، ندوة الرواية والسفر – تقاطعات التخييلي والتسجيلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء، ٢٠١٥.

السيرافي،أبو زيد الحسن. رحلة السيرافي، تحقيق: عبدالله الحبشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩م.

الشاهدي، الحسن. أدب الرحلة بالمغرب (العصر المريني)، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٩٠.

الشقران، نهلة. خطاب أدب الرحلات في القرن الرابع الهجري، الآن ناشرون وموزعون، عمان، ٢٠١٥م.

الشوابكة، نوال عبد الرحمن، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر، عمان، ٢٠٠٨م.

صدوق، محمد حاج. جنس الرحلة، ترجمة: الغروسي المبارك، ندوة الرواية والسفر– تقاطعات التخييلي والتسجيلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البضاء، ٢٠١٥م.

الضمادي، سالم محمد سالم. أدبية النص الرحلي السعودي، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٤٣٨–١٤٣٩هـ .

ضيف، شوقي، الرحلات، دار المعارف، ط٤.

الغرناطي، أبو حامد عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي الأندلسي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق: إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٣م.

الغزالي، عبدالله. المنجز السردي القديم، مكتبة آفاق، الكويت، ٢٠١١م.

ابن فضلان، أحمد. رسالة ابن فضلان، في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، تحقيق: سامي الدهان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٥٩م.

فهيم، حسين محمد. أدب الرحلات، عالم العرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد ١٣٨، ١٩٨٧م.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود. آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.

القيسي، نوري حمودي علي. من أدب السفر والرحلات في المأثور الأدبي: رحلة ابن بطوطة، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، عدد ١٣، ١٩٨٤م.

كراتشكوفسكي، أغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي،ج١، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧.

كريزنسكي، فلادمير. خطاب الرحلة ومعنى الغيرية، ترجمة: يونس شهب، ندوة الرواية والسفر– تقاطعات التخييلي والتسجيلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمنسيك، الدار البيضاء،٢٠١٥م.

كليطو، عبد الفتاح. الحكاية والتأويل، دراسات في السرد العربي، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٨م.

مارس، بلقاسم. اللغة في السرد الرحلي الشكل والدلالة، ندوة الرواية والسفر – تقاطعات التخييلي والتسجيلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء، ٢٠١٥.

مال الله، علي محسن عيسى. أدب الرحلات عند العرب في المشرق أساليبه وصوره الفنية من القرن الثالث حتى نهاية القرن الثامن الهجري، المورد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، مجلد ٣، عدد١، ١٩٧٤م.

المقدسي. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ١٩٩١م.

الملحم، غازي خيران. السمات الفنية في أدب الرحلة، الجوبة، عدد٤٢، مركز عبدالرحمن السديري الثقافي، السعودية، ٢٠١٤م.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

الموافي، ناصر عبد الرزاق، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م.

الناهي، صلاح الدين عبد اللطيف. الخوالد من آراء أبي الريحان البيروني، دار الفكر للنشـــر، عمان، ١٩٨٥م.

الهرمودي، ميلود. تقاطع الواقعي والخيالي في الرحلة الجزائرية، ندوة الرواية والسفر – تقاطعات التخييلي والتسجيلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء، ٢٠١٥م.

الهروي،علي بن أبي بكر. الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

اليعقوبي، أحمد بن يعقوب. البلدان، مطبعة ليدن، ١٨٩٠م.

يقطين، سعيد. السرد العربي مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م.

يلماز، عرفان. مكتشف الكنز المفقود فؤاد سزكين وجولة وثائقية في اختراعات المسلمين، ترجمة: أحمد كمال، دار النيل، القاهرة، ٢٠١٥ م.

عشموش، مسعود. المقاربات السردية لأدب الرحلة في النقد العربي الرأي برس، ٢٠١٨/١١/٨م، www.alraipress.com

Refences:

Ibrahim, Abdullah. Encyclopedia of Arabic Narration.Vol. 3, Mohammed bin Rashid AlMaktoum Foundation. National Media Council, United Arab Emirates, 2016.

Ibn Abi Asbai'a, MuwaffaqAl-Din Abu Al-Abbas Ahmad ibn Al-QasimAl-Khazraji. Eyes of News inLayers of Doctors,edited by Nizar Rida, Dar Al-Hayat Library House, Beirut.

Al-Ahwany, Abdelaziz. Folk Imagination in Arabic Literature, Journal of Popular Arts, The General EgyptianBook Authority, Cairo, Issue No. 100, 2015.

Brockelmann, Carl. History of Arabic Written Tradition, translated by Abdul Halim Al-Najjar, Dar Al-Ma'aref, Cairo, 5th Edition.

Ibn Batlan, Abu Anes Al-Mukhtar Bin Hassan,The Journey of ibnBataln, edited by Shakir La'ibi, Dar Al-Suwaidi for Publishing, Abu Dhabi, 2006.

Ibn Battuta, Mohammed bin Abdullah Al-Tanji, The Journey of ibn BattutaNamedthe Masterpiece of Odd Places and Strange Travels, reviewed by Darwish Al-Juwaidi, Al-AsriyaLibrary House, Sidon, Beirut, 2013.

Al-Baghdadi, Abdullatif. Testimony of the Observed Matters and Accidents in Egypt, edited by Abdulrahman Abdullah Al-Sheikh, The General Egyptian Book Authority, Cairo, 2nd Edition, 1998.

Al-Balawi, Khalid bin Issa, The Crown of Intersection in Refining Scholars of the East, Vol. 1, edited by Al-Hassan Al-Sa'eh, Islamic Heritage Revival Fund, The Kingdom of Morocco, and The United Arab Emirates.

Al-Tawazni, Khalid. The Journey and Fitnah of Stranger between Writing and Reception, Dar Al-Suwaidi for Publishing, Abu Dhabi, 2017.

Todorov, Tzvetan. Theory ofFantastic Literature, translated by Abdulrahman Bu-Ali, Dar Ninawafor Studies, Damascus, 2016.

Al-Tutanji, Mohammed. The Detailed Dictionary of Literature,Vol. 1, The Scientific Publishing House, Beirut, 2nd Edition, 1999.

Ibn Jubair. The Journey of ibn Jubair, Dar Sader, Beirut, n.d.

Al-Hatemi, Mohammed.The Moroccan Al Susi Journeys between Knowledge and Literature, Al-Ma'aref Al-JadedahPress, Rabat, 2012.

Al-Hajari, Ibrahim. The Poetics of Space in the Andalusian Journey (Al-Qalsadi's Model), Dar An-Naya, Damascus, 2012.

Hassan, Zaki Mohammed. Muslim Travelers in the Middle Ages, Dar Ar-Ra'edAl-Arabi, Beirut, 1981.

Hilaifi, Shoaib. The Journey in Arabic Literature: Genres, Methods of Writing and Discourse of the Imaginable. The General Authority for Cultural Palaces, Critical Writings, Month 121, April 2002.

Hilaifi, Shoaib. By Way of Presentation: The Crossing towards Imagination, Symposium on Novel and Travel – Intersections of the Imaginary and Documentary, Faculty of Arts and Humanities at BenM'sick, Casablanca, 2015.

Al Hamawi, Yaqout bin Abdullah, Dictionary of Countries, Vol. 3, Dar Sader, Beirut, 1977.

Ibn Hawqal, Abu al-Qassim bin Hawqal Al-Nusaibi. Image of the Earth. Dar Hayat Library House, Beirut, 1992.

Ibn Khordabneh, Abu Al-Qassim Obaid bin Abdullah, Tracts and Kingdoms, ibn Musa Al-Munajm, Leiden, 1889.

Abu-Dulf, Mas'erAl-Khazraji. The First and Second Letter of the Traveler Abu-DulfAl-Khazraji in the Fourth Century, an Overview and Analysis, introduced by A'lyan Abdelfattah Al-Jaloudi, Jordan Journal of History and Antiquities, Vol. 9, Issue 2, 2015.

Abu-Dulf, Mas'erbin Muhalhelal-Khazraji. The First Letter, edited by Murazin Saeed Murazin Asiri, Umm Al-Qura University, Mecca, 1995.

AlDuwaihi, Jbour. The Journey and Books of European Travels to the East until the End of Eighteenth Century, Journal of Arab Thinking, No. 32, April – May 1983.

Zakir, Abdelnaby. A Study Day on the Discourse of Literary Journey. Dirasat, ibn Zohr University, Faculty of Arts and Humanities, Morocco, No. 8,1998.

Robach, Jamila, The Literature of Journey in the Maghreb, PhD Thesis, Faculty of Arts and Arabic Language, Mohamed Khider University at Biskra, Algeria, 2015.

Ziadeh, Nicola. Geography and Travels among the Arabs, Dar Al-Kitab Al-Arab, Beirut, 1987.

Zidane, Georgy, History of Arabic Language Arts, Hindawi Foundation, Cairo, 2013.

Stallone, Eve. Literary Genres, translated by Mohamed al-Zakrawi, Arab Organization for Translation, Beirut, 2014.

Al Silmi, Sadeq. The Imaginable and Wandering in the Novel of Days in Mumbai, Symposium on Novel and Travel – Intersections of the Imagery and Documentary, Faculty of Arts and Humanities at Ben M'sick, Casablanca, 2015.

Al Sirafi, Abu Zaid Al-Hassan. The Journey of al-Sirafi, edited by Abdullah al-Habashi, The Cultural Foundation, Abu Dhabi, 1999.

Al Shahidi, Hassan. Travel Literature in Morocco (the Marini Era), Okaz Publications, Rabat, 1990.

Al Shaqran, Nahlah. Discourse of Travel Literature in the Fourth Century, Alan Publishers and Distributers, Amman, 2015.

Al Shawabkeh, Nawal Abdulrahman. The Literature of Andalusian and Moroccan Travels until the End of Ninth Century Hijri, Dar Al Mamounfor Publishing, Amman, 2008.

Sadouq, Mohamed Hajj. Travel Genre, translated by GharousiMubarak, Symposium on Novel and Travel – Intersections of the Imagery and Documentary, Faculty of Arts and Humanities at Ben M'sick, Casablanca, 2015.

Al Dhamadi, Salim Mohamed Salim. The Art of Saudi Travel Literature, PhD Thesis, College of Arabic Language, Imam Mohammad bin Saud Islamic University, Saudi Arabia, 1438 – 1439 Hijri.

Dhaif, Shawqi. Travels. Dar Al Ma'aref, 4th Edition.

Al Gharnati, Abu Hamid Abdulrahim bin Suleiman bin Rabie Al-QaisiAl-Andalusi, The Masterpiece of Minds and Best ofAdmirations, edited by Ismail Al-Arabi, Dar Al-Afaq Al Jadeda, Morocco, 1993.

Al Ghazali, Abdullah. The Old Narrative Achievement, Afaq Library House, Kuwait, 2011.

Ibn Fadhlan, Ahmad. The Letter of ibn Fadhlan in Describing the Journey to the Countries of the Turks, Khazar, Russian and the Saqaliba, edited by Sami Al-Dahan, Arabic Language Academy, Damascus, 1959.

Fahim, Hussain Mohammed. Travel Literature, The World of Knowledge Publishing House, The National Council for Culture, Art and Literature, Kuwait, No. 138, 1987.

Al Qazwini, Zakaria bin Mohammed bin Mahmoud. The Heritage of Places and News of People, Dar Sader, Beirut, n.d.

Al Qaisi, Nouri Hamoudi Ali. From the Literature of Travel and Journeys in the Literary Tradition: The Journey of ibn Battuta, Journal of the Institute of Arab Research and Studies, The Arab League Educational, Cultural and Scientific Organization, No. 13, 1984.

Krachkovsky, Ignaty. History of the Arab Geographical Literature, Vol. 1, translated by Salahuddin Othman Hashim, 2nd Edition, DarAl-GharbAl-Islami, Beirut, 1987.

Krasinski, Vladimir. The Discourse of Journey and Meaning of Otherness, translated byYounis Chahab, Symposium on Novel and Travel – Intersections of the Imagery and Documentary, Faculty of Arts and Humanities at Ben M'sick, Casablanca, 2015.

Clito, Abdelfattah. Story and Interpretation: Studies in the Arabic Narratives, Dar Toubkal, Casablanca, 1988.

Mars, Belkacem. Language in Travel Narration: Form and Significance, Symposium on Novel and Travel – Intersections of the Imagery and Documentary, Faculty of Arts and Humanities at Ben M'sick, Casablanca, 2015.

Mal Allah, Ali Muhsin Issa. Travel Literature among the Arabs in the Levant: Its Methods and Artistic Images from the Third Century until the End of Eighth Century Hijri, Al Mawred, Ministry of Culture and Information, Baghdad, Vol. 3, No. 1, 1974.

Al Maqdisi. The Best Partition in Knowledge Region, Madbouli Library House, Cairo, 3rd Edition, 1991.

Al-Milhim, Ghazi Khairan. The Artistic Features in Travel Literature, Al Juba, No. 42, Abdulrahman AlSudairy Cultural Centre, Saudi Arabia, 2014.

Ibn Manzur, Muhammed ibn Mukarram. Lisān al-ʿArab (Tongue of Arabs), Dar Sader, Beirut, n.d.

Al-Mawafi, Nasser Abdel Razzaq. The Journey in Arabic Literature until the End of the Fourth Century, Egyptian Universities Publishing House, Cairo, 1995.

Al-Nahi, Salahuddin Abdullatif. Al Khawalid from the Opinions of Abu Al-Rayhan AlBaironi. Dar Al-Fikrfor Publishing, Amman, Jordan.

Harmoudi, Miloud. The Intersection of the Real and Imaginary in the Algerian Journey, Symposium on Novel and Travel – Intersections of the Imagery and Documentary, Faculty of Arts and Humanities at Ben M'sick, Casablanca, 2015.

Al-Harawi, Ali bin Abi Bakr. References to Knowledge Visits, edited by Ali Omar, The Library of Religious Culture, Cairo, 2002.

Al-Ya’qubi, Ahmad bin Ya’qub. Kitab al-Buldan (Book of the Countries). Liden Press, 1890.

Yaqtin, Said. Arab Narratives: Concepts and Manifestations. Roya for Publication, Cairo, 2008.

Yilmaz, Irfan. Discoverer of the Unknown Treasure Fuat Sezgin and A Tour Documentary in Muslim Inventions, translated by Ahmad Kamal, Dar En-Nil, Cairo, 2015.

Ashmoush, Masoud. Narrative Approaches to Travel Literature in Arab Criticism, Al Rai Press, 8 November 2018, available at https://m.alraipress.com/news49451.html